إِتْحَافُ الأَحْرَارِ

بِتَارِيخِ قَبِيلَةِ أَوْلَادِ جَرَّارٍ وَسَلَفِهِمْ آلِ ذِي الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرٍ الطَّيَّارِ



جَمَعَهُ وَأَلَّفَهُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَبُو جَعْفَرٍ عَدْنَانُ

بنُ عُمَرٍ بنِ الْحُسَيْنِ الجَرَّارِيُّ الزَّيْنَبِيُّ الجَعْفَرِيُّ

إِتْحَافُ الأَحْرَارِ

بِتَارِيخِ قَبِيلَةِ أَوْلَادِ جَرَّارٍ وَسَلَفِهِمْ آلِ ذِي الجَنَاحَيْنِ جَعْفَرٍ الطَّيَّارِ

جَمَعَهُ وَأَلَّفَهُ الفَقِيرُ إلى اللَّهِ تَعَالى أبُو جَعْفَرٍ عَدْنَانُ
بنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الجَرَّارِيُّ الزَّيْنَبِيُّ الجَعْفَرِيُّ

بسم اللّه الرحمٰن الرحيم

مقدمة

إن الحمد للّه نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} (آل عمران: 102). {يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن اللّه كان عليكم رقيبا} (النساء: 1). {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما} (الأحزاب: 70-71). أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب اللّه، وخير الهدي هدي محمد صلى اللّه عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد، فإن النسب علم جليل يدل المسلم على أرحامه، فيفتح له أبواب الخير في الدنيا والآخرة. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر" (حسن: الترمذي للألباني)، وقال صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله" (متفق عليه). فما من مسلم يقرن علم النسب بصلة الأرحام، إلا نال أربعاً من موجبات السعادة: فالمحبة في الأهل مَبْعَثُ للفرح والسرور؛ والمثراة في المال بِشْرُ وبهجة لمن أنفقه في الخير؛ والمنسأة في الأثر تعني الزيادة في العمر، وَرُبَّ عمر طويل ثبت فيه العبد على طاعة ربه؛ وأما صلة اللّه فهي مَعِيَّتُهُ جل وعلا وعنايته بعبده، وهذه عين السعادة، ومنتهى الحُبُور، وأكبر نعمة خصنا بها الودود الشكور.

وأما من ابتغى علم النسب ليتكبر على الناس، فليعلم أن عصبية الجاهلية هي الحالقة التي تفني دين المرئ المسلم، وأن الكبر قد حول إبليس من صحبة الملائكة في عِلِّيِّين، إلى غَيِّ المردة ورفقة الشياطين. ومن مُحْكَمِ البيان: {قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين} (الأعراف: 12)، ثم قال تبارك وتعالى: {تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلُوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين} (القصص: 83). وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، لَيَدَعَنَّ رجالُ فخرَهم بأقوام إنما هم فحمُ من فحم جهنم، أو ليكوننَّ أهوَنَ على الله من الجِعْلان التي تدفع بأنفها النَّتَنَ" (حسن: الترمذي للألباني)؛ وَالعُبِّيَّةُ الكبر، وأما الجِعْلَانُ فحيوان صغير كالخُنْفُسَاء، والنَّتن هنا فَضَلاته. ويقول الخطابي رحمه اللّه في شرح هذا الحديث: "معناه أن الناس رجلان: مؤمن تقي فهو الخَيِّرُ الفاضل، وإن لم يكن حسيباً في قومه، وفاجر شقي فهو الدَّنِيُّ، وإن كان في أهله شريفاً رفيعا" (عون المعبود، ص2184).

وأمّا علم التاريخ، فمنافعه كثيرة لا تحصى، ودروسه ضِيَاءُ لمن ابتغى العُلى، فهو يعين الأمم على استرجاع أمجادها، ويُعرِّفها على خصومها وأخطاء أسلافها. والتاريخ يحثّ على تقوى اللّه، فعقابه عز وجل شديد في قصص الأولين، وجزيلُ شكره لا يُخْطِئُ عبادَه المخلصين. قال سبحانه وتعالى: {فاقْصُصِ القَصَصَ لعلّهم يتفكرون} (الأعراف: 176)،

وقال جلّ وعلا: {لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب} (يوسف: 111). وامتثالاً لأمر اللّه ورسوله، تصدّيت للتعريف بنسب وتاريخ قبيلتي أولاد جَرَّار، فاجتهدت في جمع أكبر عدد من المراجع للكشف عن ماضيها، وعن قصص شتاتها، وللتحقيق في نسبها الهاشمي الشريف، المرفوع إلى الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب رضي اللّه عنه. فها هي دونكم الزبدة التي تلخّصت قرابة خمس سنين، أقدمها لكم مُحَلَّاةً بالصور، وموثقة في هذا الكتاب المختصر، الذي سميته: 'إتحاف الأحرار بتاريخ أولاد جرّار وسلفهم آل ذي الجناحين جعفر الطيار'.

يحتوي هذا المؤلف على جزئين: الجزء الأول يضم أربعة فصول، هي النسب، والسلف، والسفر، والدَّور؛ والجزء الثاني يضم ثمانية فصول، هي المرابطون، والقادة، والعلماء، والرُّحَّل، والآثار، والكرم، والشتات، والنصيحة. أما فصل النسب، ففيه الدليل على شرف أولاد جرَّار، وحقوق آل البيت؛ ومن أراد مزيداً من البيان حول ثبوت هاشميتنا، فلينتقل بعد هذا الفصل إلى الصفحة 93، حيث ننقل ثمة رد الناصري على ابن خلدون كاملاً. وأما فصل السلف، فيحتوي على سِيَر أجدادنا من الصحابة رضي اللّه عنهم، ومن التابعين وتابعِيِّ التابعين –رحمة اللّه عليهم أجمعين. ثم يليه فصل السفر، الذي يذكر سبب خروج الجعافرة من الحجاز، وتفاصيل رحلتهم إلى المغرب، مرورا بمصر وتونس، ثم استقرارهم بوادي ملوية ورمال تافيلالت. وأما فصل الدَّور، فهو أطول هذه الفصول، ويضم عرضاً شاملاً للدور الإجتماعي والسياسي والإقتصادي المتميّز، وغير المسبوق، الذي لعبه أولاد جرّار في كل دولة من الدول التي تعاقبت على حكم المغرب.

ثم نستهلّ الجزء الثاني من الكتاب بفصل المرابطين، وفيه تعريف بالربط الشاطئية، ونبذة من تاريخ المرسى الذي ينتمي إليه المؤلف، وهو رباط تنحدر ساكنته الأصلية من سبعة رماة جرّاريين، جلبهم السلطان قبل ثلاث قرون؛ لحماية الشاطئ من التوغل الإيبيري. ويلي ما تقدم فصل القادة، وفيه سيرة جدّنا القائد الحسين بن المهدي طيب اللّه ثراه، ثم سير قادة أولاد جرّار بسوس –رحمهم اللّه أجمعين. وأما فصل العلماء، فيعرِّفنا على أئمة الهدى ورواد المنهج السلفي من قبيلنا رحمة اللّه عليهم؛ ويليه فصل الرُّحَّل، الذي نذكر فيه ثلاثة جرّاريين تجوّلوا في كل بقاع العالم؛ ثم فصل الآثار، وهو وصف جميل لمآثر أولاد جرّار بسوس، التي نأمل أن يُعتنى بها لتنفَع أقاربَنا، ولتنهض بالقطاع السياحي في بلادنا. وأما فصل الكرم، ففيه بعض روايات الجود الهاشمي الذي اشتهرت به عشيرتنا؛ ويتبعه فصل الشتات، الذي يحصي عمارات القبيلة، ويذكر قصص شتاتها، ثم يعرض مخططا تمهيديا لالتئامها، بإذن الكريم المنّان جلّ وعلا. وأخيراً، نختم بفصل النصيحة، وهو موعظة مختصرة أرجو من اللّه تعالى أن يشرح لها صدور الأقارب والقرّاء.

وأسأل الأوّل والآخر والظاهر والباطن سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به والمسلمين، في الدنيا ويوم الدين، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير. وصل اللهم وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

سان فرانسيسكو : 19/04/1435

أبو جعفر الجرّاري

الجُزْءُ الأوَّلُ

نسب أولاد جرّار (1): الشجرة



أثبت جمهور المؤرخين وعلماء النسب المحَقِّقِينَ، في المغرب وموريتانيا ومصر وجزيرة العرب، أن قبيلة أولاد جَرَّار المَعقِليَّة المنتشرة في المغرب الأقصى والصحراء الكبرى تُنسَب إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. ومن بين هؤلاء العلماء: مؤرخ المغرب أحمد الناصري (طلعة المشتري في النسب الجعفري، ج1 ص110)، ومؤرخ موريتانيا المختار ولد حامد (حياة موريتانيا، ج3 ص100)، ومؤرخ سوس علي السكراتي (تحلية الطروس، ص3)، ونسَّابة موريتانيا محمد بن عبد الوهاب (الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية، ص12)، وعلَّامة المغرب محمد الحجوي (الفكر السامي، ج4 ص120)، ونسَّابة مصر حسن قاسم (السيدة زينب، ص46)، ثم نسَّابة الأردن وعضو نقابة الأشراف محمد نعمان الجعفري (طبقات الأنساب، ج2)، ونسَّابة السعودية أحمد الأحسائي الجعفري (القلائد الجعفرية الطيارية)، ونسَّابة المدينة النبوية يوسف جمل الليل الحسيني (الشجرة الزكية في أنساب بني هاشم، ص423). ومن وجه آخر، لم يزل هذا النسب ثابتاً بالإستفاضة منذ وصول بني معقل إلى المغرب، فالصغير والكبير يشهدان به في موطن الجرَّاريين الأصلي بالصحراء. وأما فروع القبيلة التي جَنَّدَها السلطان في شمال البلاد، فيَندُرُ علمها بهاشميتها؛ إذ حال فصلها عن القبيلة الأمّ، وتجنيد الجيل تِلوَ الجيل من أسلافها، دون حفظ هذا النسب الشريف. ومعنى جَرَّار في اللغة: القائد الذي يرأس ألف فارس. قال ابن منظور: "كانت العرب تقول للرجل إذا قاد ألفاً: جَرَّارا" (لسان العرب، ج4 ص133)، وقالت الخنساء في رثاء أخيها صَخر: "حَمَّالُ أَلْوِيَةٍ هَبَّاطُ أَوْدِيَةٍ * شَهَّادُ أَنْدِيَةٍ لِلْجَيْشِ جَرَّارُ" (ديوان الخنساء، ص46).

وَرَدَتْ شجرة أولاد جرّار في كتب عديدة، دونما اختلافٍ كبير في صيغها، فقد نصادف أحيانا سقوط بعض الأسماء، ولا ضرر في ذلك عند رواد هذا الفن. وأما العمود الآتي فهو الأصوب، حيث نقلنا أوَّلَهُ –من جرَّار إلى معقل– عن ابن خلدون (العبر، ج6 ص87)، وآخره –ما وراء معقل– عن الناصري (طلعة المشتري، ج1 ص120)، ونصه: "جرَّار بن عَرَفَة بن فارس بن علي بن فارس بن حسين بن منصور بن محمد بن عَقِيل بن مَعْقِل بن موسى الهرَّاج بن محمد بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر [رضي الله عنهما] بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النّضُر بن كِنَانَة بن خُزَيمَة بن عَامِر بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان" –وعدنان من سلالة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

نسب أولاد جرّار (2): الشرف



إن النسب الجرَّاري لمن أكرم فروع آل البيت، وأقربها الى النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم، إذ يضم شرفين عظيمين في آن واحد: هما الجعفرية والزينبية. فجد الجرَّاريين الأول بعد الهجرة هو جعفر ابن عم رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم، وجدهم الثالث هو علي الزينبي، ابن زينب سبطة النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم. وبناء على ذلك، فأولاد جرَّار شرفاء هاشميون، عن طريق جعفر رضي اللّه عنه؛ ثم هم أحفاد النبي الكريم صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم، عن طريق زينب بنت فاطمة الزهراء رضي اللّه عنهما، وبذلك سُمُّوا الزيانبة الجعافرة، وواحدهم زينبي جعفري. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم" (صحيح: مسلم)، وقال صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء" (حسن: الجامع للألباني)، فالنسبة إليه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم، بعد التوحيد والسنة، هي أعزّ ما يملكه الجرَّاري –بأبي هو وأمي.

سُئل الشيخ العثيمين عن قول الإمام مالك: "الناس مؤتمنون على أنسابهم [فأجاب رحمه اللّه] إذا اشتهر أن هذا الرجل ينتسب إلى القبيلة الفلانية فلا حاجة إلى إقامة بينة خاصة، لأن الإشتهار في هذا يكفي" (العصبية القبلية للجريسي، ص132)، والإشتهار هو الإستفاضة التي ذكرنا آنفاً، بعد أن قَدّمنا الأدلة على ثبوت النسب. قال النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت" (صحيح: مسلم)، وقال الشيخ العثيمين رحمه اللّه عن الطعن في النسب: "معناه التعيير بالنسب، أو أن يَنفيَ نسبه [...] مثلاً يقول: أنت تدّعي أنك من آل فلان، ولست منهم" (شرح رياض الصالحين، ج6 ص264). ولما سُئل الصحابي زيد بن أرقم رضي اللّه عنه: "من هم آل البيت؟ [قال] هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس" (صحيح: مسلم). وقد تفرَّق بنو هاشم، وانتشروا في مشارق الأرض ومغاربها، منذ عهد قديم كانت فيه بلاد الإسلام موحّدة، وغير مقسمة إلى دويلات. وكانوا رحمهم اللّه يغادرون جزيرة العرب لأسباب كثيرة: كالجهاد، والدعوة إلى اللّه، والهروب من الفتن، والبحث عن رغد العيش، والمصاهرة، وغير ذلك.

نسب أولاد جرّار (3): الحقوق



اعلم رحمك اللّه، أن من كان من آل البيت وصلح دينه وَجَبَت محبَّته. قال اللّه تعالى: {قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى} (الشورى: 23)، وصحّ عن ابن العباس رضي اللّه عنه في صحيح البخاري أن القربى في هذه الآية هي قرابة رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم. ولما اشتكى العباس رضي اللّه عنه من قومٍ، قال له النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم للّه ولقرابتي" (صحيح: المسند لأحمد شاكر)، ثم قال صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "والذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار" (صحيح: السلسلة للألباني). وقال أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه: "والذي نفسي بيده، لقرابة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أحب إليّ أن أصل من قرابتي" (صحيح: البخاري). ثم اعلم أخي في اللّه، أن الإحسان إلى آل البيت فضيلة حثَّ عليها شرعنا. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب اللّه، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللّه، واستمسكوا به. وأهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي" (صحيح: مسلم). قال أبو بكر رضي اللّه عنه: "ارقبوا محمداً صلى اللّه عليه وسلم في أهل بيته" (صحيح: البخاري)؛ وفسر ابن حجر 'ارقبوا'، فقال: "احفظوه فيهم، فلا تؤذوهم، ولا تسيئوا إليهم" (فتح الباري، ج7 ص101). ثم قال ابن تيمية: "آل بيت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لهم من الحقوق ما يجب رعايتها، فإن اللّه جعل لهم حقا في الخمس والفيء، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فقال لنا: 'قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد'" (فضل آل البيت، ص34). قال اللّه تعالى: {إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا} (الأحزاب: 33)، وقال الطبري في تفسيره لهذه الآية: "إنما يريد اللّه ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي اللّه تطهيرا" (تفسير الطبري، ج6 ص178)، ولأجل هذه الحكمة، حَرَّم اللّه تعالى على بني هاشم الصدقة، وأحلَّ لهم الهدية. ثم قال النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "كُلّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ القِيَامَةِ إلاّ سَبَبِي وَنَسَبِي" (صحيح: السلسلة للألباني)، وقد ذكر العلامة الألباني، وجماعة من السلف، أن لآل البيت شفاعة خاصة، لا ينالها إلا الصالحون منهم؛ ثم قال ابن كثير: "كل نسب وسبب ينقطع نفعه وبرُّه يوم القيامة إلا نسبه وسببه وصهره صلى اللّه عليه وسلم" (الفصول في سيرة الرسول، ص342).

سلف أولاد جرّار (1): جعفر الطيّار رضي اللّه عنه



أسلم جعفر بن أبي طالب رضي اللّه عنه في بداية البعثة، قبل أن يدخل النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم إلى دار الأرقم، ولا يخفى عظم هذه المنقبة؛ إذ قال اللّه تعالى عن المبادرين إلى فعل الخيرات: {والسابقون السابقون * أولائك المقربون * في جنات النعيم} (الواقعة: 10-12). ولما اشتدت المِحَنُ على المسلمين من كيد قريش وظلمها، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم لأصحابه: "إن بأرض الحبشة ملك لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل اللّه لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه" (صحيح: السيرة للألباني)، فهاجر جعفر وأهله ونفر من المسلمين إلى الحبشة، ثم أقاموا عند النجاشي ودعوه إلى الإسلام، فأسلم على أيديهم –رضي اللّه عنهم أجمعين. وبعد مرور ما يزيد عن عشر سنين، كبر شأن المسلمين بالحجاز، فركب جعفر ومن معه السفينة وهاجروا إلى المدينة، فسعد بقدومهم النبيّ صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم، وقال لهم: "لكم أنتم أهل السفينة هجرتان" (متفق عليه). كان جعفر رضي اللّه عنه سَخِياً كريما، ولم يكن أحد من الصحابة أجود منه للمساكين. قال أبو هريرة رضي اللّه عنه: "كان أخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء، فيشقها فنلعق ما فيها" (صحيح: البخاري)، ثم قال: "ما احتذى النعال ولا ركب المطايا بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أفضل من جعفر بن أبي طالب" (صحيح: الترمذي للألباني)؛ وذكر ابن حجر أن معنى هذا الحديث مُقَيَّدٌ بالإحسان إلى المساكين. كان النبي صلى اللّه عليه وعلى اله وسلم يحب جعفراً ويجله كثيراً، وفضله على غيره حين قال له: "أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي، وَخُلِقْتَ مِنْ طِينَتِي الَّتِي خُلِقْتُ مِنْهَا" (صحيح: البخاري). وقد اسْتُشْهِدَ جعفرُ بغزوة مؤتة في جمادى الأولى من السنة الثامنة، وكان حاملا لواء المسلمين فقطعت يمناه، فحمله باليسرى فقطعت هي الأخرى، ثم احتضنه بعضديه حتى لقي نحبه –رضي اللّه عنه وأرضاه. وروي عن ابن عمر رضي اللّه عنه أنه: "وقف على جَعْفَرٍ يومئذ وهو قتيل، فَعُدِدَت به خمسين بين طعنة وضربة، ليس منها شيء في دبره، يعني في ظهره" (صحيح: البخاري). وأنشدَ جعفرُ يومها: "يا حَبَّذَا الجنّةَ واقترابَها * طيِّبَةً وبارداً شَرَابَهَا * والرُّومُ رَوْمٌ قد دَنا عذابُها * كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها * عَلَيّ إن لاقيتُها ضُرَابُهَا" (البداية والنهاية، ج4 ص259). قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "رأيت جعفر بن أبي طالب ملكا يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين" (صحيح: الجامع للألباني)، وقد عوضه اللّه تعالى بهما عن يديه، فلقب بذي الجناحين الطيار –رضي اللّه عنه وأرضاه وجمعنا به في دار الأبرار.

سلف أولاد جرّار (2): عبد اللّه الجواد رضي اللّه عنه



كان عبد اللّه بن جعفر شبيه رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم صورةً وأخلاقا، ووافق في ذلك أباه جعفراً رضي اللّه عنهما. قال النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "وأما عبد الله فشبيه خَلْقِي وَخُلُقِي. اللهم اخلُف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه" (صحيح: أحكام الجنائز للألباني). ولد عبد اللّه بالحبشة في السنة الأولى للهجرة؛ وبعد موت أبيه، كفله النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم، فنشأ مع الحسن والحسين في بيت النبوة. قال عبد اللّه: "كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا قدم من سفر تُلُقِّيَ بصبيان أهل بيته. وإنه قدم من سفر فَسُبِقَ بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه، فأدخلَنَا المدينة ثلاثة على دابة" (صحيح: مسلم). وبعد وفاة النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم، حضر عبد اللّه فتح تونس سنة 26، رفقة الحسن والحسين رضي اللّه عنهم (الإستقصا، ج1 ص92)؛ ثم عاد إلى الحجاز ولازم عمه علياً، فسانده في كل مواقفه التاريخية، حتى آخر يوم من حياته رضي اللّه عنه. قال ابن العاصمي عن وقعة الجمل: "ثم أقبلت الرايات والمواكب يتلو بعضها بعض، واشتبكت الرماح، ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفي الرايات، في أوله راية عظيمة، في أوله فارس كأنه قد كسر، وجبر نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، حوله أمم كأنما على رؤوسهم الطير، عن يمينه شاب حسن الوجه، وبين يديه شاب مثلهما، فقلت: من هؤلاء؟ فقيل لي: هذا علي بن أبي طالب، وأما من عن يمينه فالحسن وعن شماله الحسين، وهذا محمد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى، وهذا الذي خلفه عبد اللّه بن جعفر" (سمط النجوم، ج1 ص487). وبعد موت علي رضي اللّه عنه، اقتص عبد اللّه من قاتله. قال ابن كثير: "قيل أن عبد اللّه بن جعفر قطع يديه ورجليه وكحلت عيناه وهو مع ذلك يقرأ سورة: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} إلى آخرها" (البداية والنهاية، ج7 ص345). وقبل فاجعة كربلاء بقليل، حاول عبد اللّه أن يمنع الحسين من الذهاب إلى العراق، لكنه لم يُصْغِ إليه. قال ابن كثير: "كتب عبد اللّه إلى الحسين مع ابنه عون ومحمد: أما بعد، فإني أسألك باللّه لما انصرفت حتى تنظر في كتابي هذا، فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجهت له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكت اليوم طفئ نور الإسلام، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير" (البداية والنهاية، ج8 ص167). وقد قيل أن عبد اللّه بن جعفر فقد بصره قبل وقعة كربلاء، فبعث مع الحسين ابنيه عوناً ومحمداً، وأمَّهما زينب العقيلة أخت الحسين، فقتل كل ذكور بني هاشم إلا زين العابدين، ثم كفّنت زينب الحسين ولديها –رضي اللّه عنهم أجمعين.

سلف أولاد جرّار (3): عبد اللّه الجواد رضي اللّه عنه



كان عبد اللّه بن جعفر رضي اللّه عنه من أكرم الناس في تاريخ الإسلام، وأجودهم بماله ونفسه. قال الطبري: "لما بلغ عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب مقتل ابنيه مع الحسين دخل عليه بعض مواليه والناس يعزونه، قال: ولا أظن مولاه ذلك إلا أبا السلاس، فقال: هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين، قال: فحذفه عبد اللّه بن جعفر بنعله ثم قال: يا ابن اللخناء! أللحسين تقول هذا؟ واللّه لو شهدته لأحببت أنَا لا أفارقه حتى أقتل معه" (تاريخ الطبري، ج5 ص466) – وكان أبو السلاس قد رَبّى عوناً وَمُحَمَّدًا. وقد تناقل المؤرخون قصص الجود الذي اشتهر به ابن جعفر، ورووا أنه بلغ مرتبة عالية في السخاء، لم يسبقه إليها أحد في الإسلام، بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم، حتى صار يعرف رضي اللّه عنه بشتى ألقاب الكرم، وشاع منها لقب الجواد. قال ابن حِبّان أن ابن جعفر: "هو الذي يقال له قطب السخاء" (الثقات، ج3 ص207)، وقال المقريزي: "كان جوادا كأبيه، وكان يُسمّى البحر، ولم يكن في الإسلام أسخى منه" (إمتاع الأسماع، ج6 ص293)، ثم قال ابن الجوزي: "جاءت امرأة إلى عبد اللّه بن جعفر، فقالت له: 'يا سيدي! وهَبَت لي بعض جاراتي بيضة فحضنتها تحت ثديي حتى خرجت فروجة، فغذوتها بأطيب الطعام حتى بلغت وقد ذبحتها وشويتها وكفنتها برقاقتين، وجعلت للّه علي أن أدفنها في أكرم بقعة في الأرض ولا أعلم واللّه بقعة أكرم من بطنك، فكلها'. فقال: 'يا بديح! خذها منها وامض فانظر إلى الدار التي هي فيها، فإن كانت لها فاشتر لها ما حولها من الدور، وإن لم تكن لها فاشترها واشتر لها ما حولها'. فذهب ثم رجع فقال: 'قد اشتريت الدار لها وما حواليها'، فقال: 'احمل لها على ثلاثين بعير حنطة وشعيرا وأرزا وزبيب وتمرا ودراهم ودنانير" (المنتظم، ج6 ص215). وقال الحافظ ابن حجر: "وجّه يزيد بن معاوية [...] إلى عبد اللّه بن جعفر مالا جليلا هدية، ففرقه في أهل المدينة ولم يدخل منزله منه شيئا، وفي ذلك يقول عبيد اللّه بن قيس الرقيات: وما كنت إلا كالأغر ابن جعفر * رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكرى" (الإصابة في تمييز الصحابة، ص854). ثم قال علي البيهقي: "كان أهل المدينة يستدين بعضهم من بعض، إلى أن يأتيهم عطاء عبد اللّه بن جعفر [وكان] يعطي إذا سُئل ويَبتدئ اذا لم يُسأل، ومن أفطر معه رمضان كان عليه قوته وقوت عياله إلى السنة [...] وقيل: ضاقت يد عبد اللّه بن جعفر، وصلى الجمعة في مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، وقال: 'اللهم إنك عوّدتني عادة جريت عليها، فإن انقضت مدة عادتي فاقبضني إليك وتوَفّني مسلماً وألحقني بالصالحين'، فمات في الجمعة الأخرى، وتوفي وهو ابن ثمانين سنة" (لباب الأنساب، ص364-365).

سلف أولاد جرّار (4): زينب وعلي الزينبي رضي اللّه عنهما



أمّنا زينب رضي اللّه عنها هي حفيدة رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم، وبنت فاطمة وعلي، وأخت الحسن والحسين رضي اللّه عنهم أجمعين، وكانت تلقب بالعقيلة لرجاحة عقلها. حضرت زينب فاجعة كربلاء، وقاست فيها الحسرة الكبرى حين قتل الطاغية ابن زياد أخاها الحسين، وولديها عوناً ومحمداً، وسائر ذكور بني هاشم، إلا علي زين العابدين، الذي كان صغيرا فتعلقت به رضي اللّه عنها، ودافعت عنه. قال ابن كثير: "وتعلقت [بزين العابدين] زينب عمته فقالت: يا ابن زياد! حسبك منا ما فعلت بنا، أما رويت من دمائنا؟ وهل أبقيت منا أحدا؟ واعتنقته وقالت: أسألك باللّه إن كنت مؤمنا إن قتلته لَمَا اقتلني معه [...] فقال: عجبا للرحم واللّه! إني لأظن أنها ودّت لو أني قتلته أن أقتلها معه! دعوا الغلام، انطلق مع نسائك" (البداية والنهاية، ج8 ص193). ثم أخذ الطغاة زينب وزين العابدين إلى قصر اليزيد بالشام. ويرى ابن كثير أن اليزيد لم يأمر بما ارتكبه ابن زياد من شناعة، لكنه لم يحزن لقتل الحسين؛ لأنه نازعه المُلكَ. ثم قال رحمه اللّه أنَّ اليزيد كان "لا يتغذى ولا يتعشى إلا ومعه علي بن الحسين [وقال له لما ودّعه] أما واللّه لو أني صاحب أبيك [...] لدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت" (البداية والنهاية، ج8 ص194). وقال العبيدلي أنه، بعد هذه الوقائع، "كانت زينب بنت علي، وهي بالمدينة، تألب الناس على القيام بأخذ ثأر الحسين [فأمر اليزيد] أن ينادى عليها بالخروج من المدينة والإقامة حيث تشاء [فقالت واللّه] لا خرجنا وإن أهرقت دماءنا، فقالت لها زينب بنت عقيل: يا ابنة عماه [...] أتريدين بعد هذا هوانا؟ ارحلي إلى بلد آمن [فجهزها العامل] إلى مصر فقدمتها [سنة 61 وتوفيت بالقاهرة سنة 62 رضي اللّه عنها]" (السيدة زينب، ص21). وأما علي الزينبي، فهو من التابعين الذين تربَّوا في أكناف الصحابة الأخيار رضي اللّه عنهم؛ قال عنه الناصري: "علي بن عبد اللّه بن جعفر هذا هو المعروف بالزينبي نسبة إلى أمه زينب بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة الزهراء [...] وفي ذرية علي هذا ألف الحافظ السيوطي رسالته 'الزينبية'. قال ابن عنبة: كان علي الزينبي يكنّى أبا الحسن وكان سيدا كريما. ونقل الأزورقاني من كتاب 'المصابيح' تأليف أبي بكر الوراق، قال: كان ثلاثة في عصر واحد بني عم يرجعون إلى أصل قريب، كلهم يسمى علياً وكلهم يصلح للخلافة، وهم: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وعلي بن عبد اللّه بن عباس بن عبد المطلب، وعلي بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب. وناهيك بمن عدّه أهل زمانه من الأفراد الذين يصلحون للخلافة. قال مصعب: وكان علي الزينبي متزوجا بلبابة بنت عبد اللّه بن عباس ترجمان القرآن" (طلعة المشتري، ج1 ص68).

سلف أولاد جرّار (5): فاطمة وأسماء رضي الله عنهما



وأما أمّهاتنا من السلف الصالح فهنّ: فاطمة بنت أسد بن هاشم أم جعفر الطيار، وأسماء بنت عميس بن معد أم عبد الله الجواد، وزينب بنت علي بن أبي طالب أم علي الزينبي، ولبابة بنت عبد الله بن العباس أم محمد الجواد – رضي الله عنهم أجمعين (جمهرة أنساب العرب، ج1 ص69). وقد مر الكلام عن زينب العقيلة، وفي هذه الصفحة سنذكر صحابيتين جليلتين هما: فاطمة بنت أسد وأسماء بنت عميس رضي الله عنهما. أما فاطمة فهي أمّ عقيل وجعفر وعلي، أبناء أبي طالب، وحاضنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ إذ كفله زوجها وهو صغير بعد موت أبيه، وتربّى في حجرها، فكانت له بمنزلة الأم، تغمره بحنانها، وتقدمه على أبناءها. ولما نزل عليه الوحي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كانت من السبّاقين إلى الإيمان برسالته، فأسلمت بعد عشرة من الصحابة رضوان الله عليهم، ثم هاجرت إلى المدينة. ولما توفيت رضي الله عنها، حزن النبي عليها حزنا عظيما، ودفنها بالبقيع صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وأما أسماء بنت عميس، فهي أم عبد الله بن جعفر، ونسبها خثعمي قحطاني؛ أسلمت رضي الله عنها مع زوجها جعفر في نفس اليوم، ثم هاجرت معه إلى الحبشة، وقاست معه الشدائد هناك. قال أبو موسى رضي الله عنه: "دخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس. قال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ فقالت أسماء: نعم. فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم. فغضبت وقالت كلمة: كذبت يا عمر! كلا والله! كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم. وكنا في دار – أو في أرض– البعداء البغضاء في الحبشة، وذلك في الله ورسوله. وايم الله! لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم. ونحن كنا نؤذى ونُخاف وسأذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسأله. ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك. قال: فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت: يا نبي الله! إن عمر قال كذا وكذا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: 'ليس بأحق بي منكم. وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان'" (صحيح: مسلم). بعد وفاة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، تزوجت أسماء من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وولدت له محمداً أميرَ مصر؛ وبعد وفاة أبي بكر، تزوجت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فولدت له يحيى وعونا. وقد كانت أسماء رضي الله عنها نسيبة رسول الله مرتين، حيث تزوج صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أختها زينب، وبعد وفاة زينب تزوج من أختها ميمونة رضي الله عنهن، وصلى الله على نبينا وعلى آله وسلم.

سلف أولاد جرّار (6): تابعيّ التابعين رحمهم اللّه



كلامنا في هذه الصفحة عن أسلافنا من أتباع التابعين، الذين قال عنهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" (متفق عليه). قال الناصري عن محمد الجواد بن علي الزينبي: "أما أبو جعفر محمد الجواد ابن علي الزينبي ابن عبد اللّه بن جعفر الطيار فقال ابن عنبة: كان جليلا من أجل الناس قدرا. ونقل الأزورقاني عن كتاب المصابيح تأليف الوراق ما نصه: 'ثلاثة في عصر واحد كلهم يسمى محمد بن علي، بنوا أعمام، وكلهم يصلح للخلافة: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمد ابن علي بن عبد اللّه بن عباس، ومحمد بن علي بن عبد اللّه بن جعفر.' وتقدم نظير هذا في أبيه علي الزينبي" (طلعة المشتري، ج1 ص71). ثم قال عنه فخر الدين الرازي: "محمد أبو جعفر الجواد ذو الشرفين، كان من أجمل الناس وجها، أمه لبابة بنت عبد اللّه بن العباس بن عبد المطلب" (الشجرة المباركة، ص203). وقال الناصري عن إبراهيم بن محمد: "وأما إبراهيم الأعرابي ابن محمد الجواد بن علي الزينبي بن عبد اللّه بن جعفر فقال ابن عنبة: كان من أجلّة بني هاشم وأمه امرأة من قريش" (طلعة المشتري، ج1 ص75). وقد روى إبراهيم الحديث عن عدد من التابعين، ووثقه ابن حِبّان (الثقات، ج6 ص4)، وقال عنه ابن حجر: "صدوق من السادسة" (تقريب التهذيب، ص115). توفي رحمه اللّه في حبس هارون الرشيد (الشجرة المباركة، ص203)، وينتسب إليه كثير من آل جعفر الزيانبة في بلدان مختلفة. قال ابن أبي حاتم: "إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي: روى عن أبيه. روى عنه سعد بن زياد أبو عاصم مولى بني هاشم وابن عيينة ويعقوب بن عبد الرحمٰن الإسكندراني" (الجرح والتعديل، ج1 ق1 ص125). ثم قال الناصري عن جعفر ابن إبراهيم: "وأما جعفر الأمير بن إبراهيم الأعرابي فإنما قيل له الأمير لأنه كان أمير الحجاز كما تقدم، وقد أخرج اللّه تعالى من ظهره الكثير الطيب، وكان له من الولد فيما وقفت عليه عشرة" (طلعة المشتري، ج1 ص76)، وقال عنه ابن أبي حاتم: "جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين رضي اللّه عنهم: روى عن علي بن عمر بن علي بن حسين. روى عنه زيد بن الحباب وإسماعيل بن أبي أويس" (الجرح والتعديل، ج1 ق1 ص474). ثم قال الرازي عن محمد ابن جعفر الأمير: "أما محمد بن جعفر الأمير ابن إبراهيم الأعرابي، فله من المعقبين خمسة: داود وإدريس وعيسى وإبراهيم، أمهم زينب بنت موسى الجون. وصالح. وكان له ابن آخر موسى الهرّاج، قيل له عقب يعرفون ببني الهرّاج" (الشجرة المباركة، ص204).

سفر أولاد جرّار (1): ثورة العلويين سنة 257



بعد وفاة جعفر الأمير، جعل العباسيون ولاية المدينة في عقبه. قال ابن حزم: "وُلِّيَ منهم إسحاق وموسى وسليمان وجعفر والقاسم [بنو محمد بن يوسف بن جعفر الأمير]" (جمهرة أنساب العرب، ج1 ص69)، وذكر عارف أحمد أن إسحاق هو الذي بنى سور المدينة (تاريخ أمراء المدينة، ص197). وفي منتصف القرن الثالث، ثار العلويون على أبناء عمهم الجعافرة، فانتهكوا حرمة المدينة، وأشعلوا نار الفتنة. قال الناصري: "لما ضعفت الدولة العباسية أيام المستعين [...] وكثرت الثوار في الأقطار من بني الحسن وبني الحسين رضي الله عنهما، كان بنو جعفر يومئذ قد كثروا بالمدينة وما حولها كثرة لا كفاء لها، وتغلبوا على المدينة وخيبر وأعمالهما، وحدثت لهم بهما رياسة [...] وتوارثتها الأبناء عن الآباء. ففي ذلك العصر [...] كانت الفتن تثور وتحدث بينهم وبين بني أعمامهم من ولد الحسن والحسين، وكثر ذلك بينهم وطال، فتارة تكون الحرب بينهم وبين بني الحسن، وتارة بينهم وبين بني الحسين، وتارة بين الجميع [وفي سنة 257] لأول خلافة المعتمد ثار محمد بن الحسن [العلوي] بالمدينة وحاصرها فهلك منهم بالجوع كثير، ولم يُصَلِّ أحدٌ بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم طول حِصَاره" (طلعة المشتري، ج1 ص86). ثم قال الطبري: "[في سنة 266] كانت فتنة بالمدينة ونواحيها بين الجعفرية والعلوية، وكان سبب ذلك أن القيّم بأمر المدينة ووادي القرى ونواحيها كان في هذه السنة إسحاق بن محمد بن يوسف الجعفري، فولَّى وادي القرى والياً من قِبَله، فوثب أهل وادي القرى على عامل إسحاق بن محمد فقتلوه، وقتلوا أخوين لإسحاق. فخرج إسحاق إلى وادي القرى فمرض به ومات. فقام بأمر المدينة أخوه موسى بن محمد، فخرج عليه الحسن بن موسى بن جعفر [العلوي] فأرضاه بثمان مائة دينار، ثم خرج عليه أبو القاسم أحمد بن إسماعيل ابن الحسن بن زيد [العلوي] فقتل موسى وغلب على المدينة" (تاريخ الطبري، ج9 ص552). وفي آخر هذا الصراع، انتصر العلويون بدخول قبيلة حرب في حلفهم، فأخرجوا الجعافرة من المدينة إلى صعيد مصر. قال الإصطخري: "كان في أيام مقامي [بودان الحجاز] رئيس الجعفريين [...] ولهم بالفرع والسائرة ضياع كثيرة، وعشيرة وأتباع، وبينهم وبين الحسنيين حروب ودماء، حتى استولى طائفة من اليمن يعرفون ببني حرب على ضياعهم فصاروا حزباً لهم، فضعفوا" (مسالك الممالك، ص22). ثم قال ابن خلدون: "والرئاسة [في المدينة] بين بني حسين وبني جعفر، إلى أن أخرجهم بنو حسين، فسكنوا بين مكة والمدينة، ثم أجلاهم بنو حرب من زبيد إلى القرى والحصون، وأجازوهم إلى الصعيد، فهم هناك إلى اليوم، وبقي بنو حسين بالمدينة" (العبر، ج4 ص139).

سفر أولاد جرّار (2): إلى صعيد مصر سنة 348



نيل الصعيد: موطن الجعافرة بمصر

كانت الحرب التي نشبت بين الطالبيين سبباً في انتقال الجعافرة إلى صعيد مصر. قال خورشيد: "يرى [هارولد مَك مايكل] أن هؤلاء الجعافرة هاجروا إلى مصر لما طردوا من مكة [ما بين 289 و391] وتحفظ شواهد القبور إسم سيدة بالفسطاط هي أم لأحد أفراد الجيل الثامن من ذرية جعفر الطيار، أي أنها تعد معاصرة للجيل السابق منهم، ومع ذلك فسنة وفاتها هي [282] والعباس بن أحمد القمّاح [ت 363] مُحَدِّثٌ رَاوِيَة من أهل مصر، يكتفي السمعاني بأن يذكر أنه مولى الجعافرة، مما يدل على أنهم كانوا في ذلك الوقت مألوفين في مصر. نستطيع أن نخرج من هذا بأن الجعافرة عاشوا في مصر منذ القرن الثالث على الأقل، وأنهم هاجروا إلى الأشمونين في هجرة قريش الكبرى إلى تلك المنطقة" (القبائل العربية في مصر، ص114). وقال طقوش: "أتيحت الفرصة للمعزّ لتحقيق أهدافه في الحجاز عام [348] حين نشب النزاع بين العلويين وبين الأشراف الطالبيين من بني جعفر بن أبي طالب. فسعى للصلح بين الطائفتين، وعقد رسله صلحا في المسجد الحرام، وتحملوا الديات من مال المعز" (تاريخ الفاطميين، ص232). إذا جمعنا بين الروايتين السابقتين، تبين لنا أن الجعافرة دخلوا مصر تدريجياً ما بين سنتي 282 و348، ثم قدمت أفواجهم الكبرى بعد آخر حرب لهم ضد العلويين، أي ما بين 348 و391. وأما مكان نزولهم في الصعيد، فقد حدده ابن خلدون لما ذكر جهينة، فقال: "ونزل معهم في تلك الموطن من أسوان إلى قوص بنو جعفر بن أبي طالب حين غلبهم بنو الحسن على نواحي المدينة وأخرجوهم منها، فهم يعرفون بينهم بالشرفاء الجعافرة ويحترفون في غالب أحوالهم بالتجارة" (العبر، ج6 ص7). ومن ضحايا هذا الشتات: جعافرةٌ استوطنوا الشام نحو 150 سنة، ثم انتقلوا إلى قرية سميت باسمهم في شمال مصر؛ حيث ذكر الزبيدي أن إسم الجعفرية يعود إلى نزول بعض الجعافرة الطيارين من نسل الحسن بن جعفر الأمير بتلك المدينة في أوائل سنة 500، قادمين من السويط بالشام، والتي انتقلوا إليها من وادي القرى بالقرب من المدينة النبوية، بعد أن أجلاهم بنو عمومتهم الحسينيون (الروض المعطار، ص19). وقال ابن عنبة عن هذه الطائفة بعينها: "[حدَّث] رجل منهم ورد الحلة [بالعراق] فقال: 'نحن بنو جعفر الطيار بادية مع آل مهنا، نحو من أربعة آلاف فارس'" (عمدة الطالب، ص47)، ثم ذكر رحمه الله أن من أحفاد إبراهيم الأعرابي من استقر ببغداد (عمدة الطالب، ص42)، وذلك يفسر وجود بعض أرحامنا بني الهرّاج في العراق.

سفر أولاد جرّار (3): إلى شرق المغرب سنة 584



بومالن دادس: واجهة بلاد المغرب للوافد من القبلة

بعد نزول الجعافرة في الصعيد، أَلَمَّ بهم فقر شديد بسبب كثرة الوافدين من بني هلال. وقد صرّح وزير مصر آنذاك أن الناس: "تكاثروا إلى حدّ أن البلاد أصبحت [...] لا تسعهم جميعا، وما تنتجه الأرض يكاد لا يكفي لعلف الماشية لشدة قحطها" (وصف افريقيا، ج1 ص45). وفي سنة 443، انتقلت فخذة جعفرية تعرف ببني معقل إلى المغرب الأدنى للبحث عن عيش أرغد (العبر، ج6 ص20)(بلاد المغرب وعلاقاتها، ص231). قال الناصري: "وقعت وحشة بين المستنصر [...] وبين عامله على إفريقية المعز بن باديس [فأدّى ذلك] إلى أن قطع المعز [...] خطبة المستنصر ومحا اسمه من السكة والأعلام [...] ولما اتصل خبر ذلك كله بالمستنصر صاحب مصر قامت قيامته [...] فشاور وزيره [...] فأشار عليه بأن يسرح إلى المعز [...] عرب بني هلال الذين بأرض الصعيد [...] وأن يستميل مشايخهم بالعطاء ويوليهم أعمال إفريقية [...] ولما دخل هؤلاء العرب على الوجه الذي شرحنا انفلتت طائفة من بني جعفر الذين كانوا يومئذ بالصعيد فدخلت معهم وتعرف هذه الطائفة الجعفرية ببني معقل" (طلعة المشتري، ج1 ص91). ثم في سنة 584، نقل المنصورُ الموحِّدي بطونَ بني معقل كرهاً إلى المغرب الأقصى، فأسكنهم ضفاف ملوية (تاريخ الفاطميين، ص232)، وتخلفت شرذمة منهم بتونس (العبر، ج6 ص77)، حيث نجد فلولها اليوم بقريتي بني معقل وسيدي بوزكري؛ وبعد مرور ربع قرن على نزولهم بوادي ملوية، توزّع بنو معقل، وفرّقت بينهم الطرق، فزحف قومنا ذوو منصور نحو درعة وتافيلالت. قال ابن خلدون: "وهم ثلاثة بطون: ذَوِي عُبَيْدِ اللّهِ، وَذَوِي مَنْصُور، وَذَوِي حَسَّان. فذوي عبيد اللّه منهم هم المجاورون لبني عامر ومواطنهم بين تلمسان وتاوريرت [...] ومواطن ذوي منصور من تاوريرت إلى بلاد درعة، فيستولون على ملوية كلها إلى [تافيلالت] وعلى درعة وعلى ما يحاذيها من التل، مثل تازي وغساسة ومكناسة وفاس وبلاد تادلا والمقدر. ومواطن ذوي حسَّان من درعة إلى البحر المحيط، وينزل شيوخهم بلاد نول قاعدة السوس فيستولون على السوس الأقصى وما إليه. وينتجعون كلهم في الرمال إلى مواطن الملثمين من كدالة مستوفة ولمتونة. وكان [دخول معقل] إلى المغرب مع الهلاليين في عدد قليل يقال أنهم لم يبلغوا المائتين، واعترضهم بنو سليم فأعجزوهم، وتحيزوا إلى الهلاليين منذ عهد قديم ونزلوا بآخر موطنهم مما يلي ملوية ورمال تافيلالت" (العبر، ج6 ص77). وللتنبيه، فالمائتان المشار إليها هي عدد بني معقل سنة 443 بالمغرب الأدنى، وهو تونس، لا سنة 584 بالمغرب الأقصى كما يُعْتَقَد.

دور أولاد جرّار: في دولة الموحّدين (1)
الانتشار في الصحراء الشرقية بعد سنة 609



واحات الصحراء الشرقية

لم يغادر بنو معقل ضفاف ملوية إلا بعد توالي سنوات الجفاف في بداية القرن السابع (سجلماسة، ص189)، ثم انهزام الموحّدين في وقعة العقاب بالأندلس سنة 609، فزحفت القبيلة نحو الأراضي الخصبة، وتقاسمت بطونها الثلاث واحات الصحراء الشرقية، ما بين الظهرة ودرعة وتيكورارين، فكانت حصة الأسد لذوي منصور. قال البوزيدي: "ظلت قبائل بني معقل منذ دخولها إلى المغرب الأقصى خلال القرن السادس [...] إلى غاية بداية العقد الثاني من القرن السابع [...] ملازمة لمجالات انتشارها الأولى فيما بين هضاب ملوية ونجود تافيلالت [ثم استغلت] ظروف ضعف الدولة الموحدية بعد هزيمة معركة العقاب سنة 609 [...] فاندفعت في عمليات غزو واسعة نحو المناطق الداخلية من المغرب [فاستولت] على أهم المراكز التجارية المنتشرة في رقاب القفر بتوات وتيكورارين وبودة وغيرها [وعلى] واحات تافيلالت واستبدت بقصورها، ثم بدأت تتقدم غربا في اتجاه واحات درعة، فاصطدمت بالقبائل الصنهاجية التي كانت تسيطر على المراعي الخصبة ما بين واحات تافيلالت ووادي درعة [ثم نجحت] في تكسير الصمود الصنهاجي بسرعة كبيرة، وتشطير القبائل الصنهاجية إلى شطرين، تراجع أحدهما إلى الفيافي الصحراوية، في حين أن الشطر الثاني [...] اندفع نحو المناطق الجبلية [وهكذا] أصبح الطريق إلى واحات درعة وبلاد سوس مفتوحا أمامها [...] ويظهر أن طلائع بني معقل وجدت في هوامش وادي درعة ما يغري بالتوسع والإنتشار فاندفعت في أعداد كبيرة وذلك طيلة العقود الثلاثة [620 و630 و640] وتدل كل القرائن على أن القبائل المعقلية قد تمكنت من بسط هيمنتها على كل الواحات المنتشرة في المناطق الصحراوية من تافيلالت شرقا إلى سوس غربا [...] وبدأت تتطلع إلى مراقبة الطرق التجارية الصحراوية التي تربط بين الجنوب المغربي وبلاد السودان، خاصة أن التجارة بهذه الطرق كانت تقوم بالأساس على تجارة العبيد والذهب" (التاريخ الإجتماعي لدرعة، ص50-52). وبعد إخضاع الأمازيغ، تغلب بنو معقل على جيرانهم من عرب زغبة الهلاليين. قال ابن خلدون: "فغلب على [زغبة] هناك المعقل، وفرضوا عليهم أتاوة من الإبل يعطونها ويختارونها عليهم من البكرات [...] وقيل إن البكرات إنما فرضها للمعقل على قومه عامر بن جميل لأجل مظاهرة له على عدوه، وبقيت للمعقل عادة إلى أن تمشّت رجالات من زغبة في نقض ذلك" (العبر، ج6 ص61).

دور أولاد جرّار: في دولة الموحّدين (2)
القضاء على المُوحّدين سنة 668



الفروسية المغربية

لم يمرّ زمان طويل على وصول بني معقل إلى المغرب، حتى برزت قوة أولاد جرّار. قال ابن خلدون: "وأما أولاد منصور بن محمد فهم معظم هؤلاء المعقل وجمهورهم، وتواخمهم تخوم المغرب الأقصى من قبلته ما بين ملوية ودرعة [...] وأما أولاد حسين فهم جمهور ذوي منصور، ولهم العزة عليهم، ورياستهم أيام بني مرين في أولاد خالد بن جرمون بن جرّار بن عَرَفَة بن فارس بن علي بن فارس بن حسين بن منصور" (العبر، ج6 ص87). لاحظ المكانة التي حازها الجرّاريون من خلال كلام ابن خلدون، فقد أشار أنهم يرأسون حُسَيْناً، وأن حسيناً لها العزة على ذوي منصور، وأن ذوي منصور هم جمهور المعقل. كانت هذه القوة التي ميّزت أولاد جرّار سبباً في استدعائهم من طرف ابن يدّر سنة 651 للقضاء على الموحّدين، خاصة بعد أن اغتال بنو معقل يحيى الموحّدي سنة 633 (الأنيس المطرب، ص166)، ثم ثاروا على السعيد الموحّدي سنة 642 (سجلماسة، ص194). قال ابن خلدون أن ابن يدّر: "جاهر بالخلاف سنة 651 ونزل بحصن تانصاحت [...] وشيده وحصنه [...] ثم تغلب على بسيط السوس، وجأجأ [...] أعراب المعقل من مواطنهم بنواحي ملوية [...] فارتحلوا إليه وعاث بهم في نواحي السوس [...] وزحف إليه ابن أصناك [الموحّدي] في عسكره فهزمه ابن يدّر وقتل كثيرا منهم [...] وأغزاه المرتضى [...] أزلماطَ في عسكر من الموحدين سنة 660 فهزمهم [...] فزحف إليه [الوزير] ودارت الحرب بينهما ملياً، وانقلب من غير ظفر، واستفحل ابن يدّر ببلاد السوس [...] وأرهف حده للأعراب فزحفوا إليه، وكانت عليه الدبرة، وقتل سنة 668" (العبر، ج6 ص367). لا فِرَاقَ أن هذه الحرب التي خاضها الجرَّاريون سنة 668 أدَّت إلى انهيار الموحِّدين، وقبل أن ينقضِيَ العام تخلصوا من ابن يدّر، ثم استقروا بسوس وتغلبوا على قبائله. قال السوسي: "وقد تفرق الجرّاريون فبعضهم لا يزال في الصحراء وبعضهم في سوس، نزلوه من عهد بني مرين يوم استدعاهم علي بن يدّر [...] فملكوا [القبائل] السهلية بالإتاوة، وتسلطوا على وادي نون وإفران. ولا تزال بقاياهم هناك إلى الآن. كما كانوا يملكون كل السهول الشمالية بسوس من رأس الوادي إلى ضواحي تزنيت [...] وكثيرا ما توجد الآن رسوم من قبائل شتى اشتروا بها من الجرّاريين مواطن سكناهم [...] وقد كانت كلمة هؤلاء الأعراب تجتمع دائما تحت رؤساء لهم، صيانة لوحدتهم بين قبائل الشلحيين" (المعسول، ج19 ص148).

دور أولاد جرّار: في دولة الموحّدين (3)
الإستقرار بسوس واستحقاق الأراضي والعيون



أولاد جرّار سوس أزغار: مقر القبيلة منذ ثمان قرون

لم يدخل الجرّاريون بلاد سوس غُزَاةً، وإنما دخلوها نصرةً لأهلها السوسيين، ولأميرها ابن يدّر الزكندري، ثم مغالبةً للموحّدين الطغاة، الذين حاربوا بني معقل في تازة وتافيلالت. وقد أوضح ابن خلدون أن ابن يدّر استصرخهم فصارخوه (العبر، ج6 ص91)، أي استغاثهم فأغاثوه، وأكّد السوسي أنه استدعاهم فأجابوه (المعسول، ج19 ص148)، ثمّ قال: "نعلم أن المرينيين كانوا أطلقوا [لأولاد جرّار] الأيدي في بسائط سوس، ولذلك تكشّف أول القرن العاشر عن استيلائهم التام على كل البسائط" (خلال جزولة، ج2 ص16). فيستخلص مما سبق أن الحكام الأمازيغ، من يدّر وَمَرِينَ، وهبوا بسيط سوس للجرّاريين مقابل توفير الأمن. ولن نبالغ في شيء إذا قلنا أن هذا البسيط كان صحراء قاحلة، ولم يكن في تفويته للجرّاريين ظلم للسكان الأصليين؛ إذ لم يكتشف أولاد جرّار عين حسون الغزيرة إلا في سنة 1130. قال الإكراري: "ولنُقَدّمِ الكلام على أخبار العين، ومن أجراها حتى بدت للعين، من 35 ذراعا عمقا [...] وجدت في عقد قديم أن أول من أحيى الفدان الذي حفر فيه العين، قبلة 'بوركبى' في 'أزغار' المسمّى بُلخشَيْمَات الشيخ محمد بن علي بن الحسوني [...] اشترى ربع ذلك الفدان في رمضان عام 1129" (روضة الأفنان، ص56). وقد استنبط الجرّاريون عيوناً أخرى بحول الله، ثم بفراستهم الحجازية. قال السوسي: "دخل سكان تيمولاي في حروب مع أيت جرّار [...] فقامت حربُ زبونٌ بينهم سبع سنين [...] وسبب هذه الحرب هو أن أحد أبناء أيت جرّار والمعروف بِواهريم كان يرعى الغنم لسكان تيمولاي العليا، وفي أحد الأيام [...] أسند رأسه إلى الأرض ليستريح فسمع خرير مياه تحت الأرض، فهرع إلى قرية تيمولاي فأخبر سكانها بذلك، فقاموا بحفر المكان واستخرجوا منها عينا جارية، وكان المكان قريبا من موطن أيت جرّار" (من أفواه الرجال، ج3 ص122). ثم قال الإكراري عن عين الركادة: "مبارك بن أحمد [...] الجرّاري يحفر بئراً في ملكه، فنقب على غار، فدخل فيه فإذا بعين ماء يجري تحت الأرض لم يره أحد" (روضة الأفنان، ص82). وقال السكراتي عن عين إيدغ: "[أدخل الجرّاريون] إليها الضرابة تحت الأرض، فساروا حتى وصلوا رأس العين، فاشتغلوا فيه بالحفر أكثر من شهر، لا يعرفون ليلهم من نهارهم، والمؤونة كل يوم تصلهم مع الأمناء، حتى فتحوا من رقبة العين شيئا يسيرا [...] وجاء فيه الكفاية" (المعسول، ج19 ص184).

دور أولاد جرّار: في دولة المرينيّين (1)
دعم زناتة المرينية في تأسيس دولتها



تافيلالت: أحد مواطن الجرّاريين بالصحراء الشرقية

لا مشاحَّة إذا قلنا أنّ أولاد جرّار بطن كبير من قبيلة أولاد حسين، فيه الرئاسة والعدد. فقد سمّى ابن خلدون سبعة أمراء جرّاريين حكموا حسيناً في العهد المريني، وكان يشير إليهم تارة بأولاد حسين، وتارة بأولاد جرّار؛ لأنّ جرّار من أحفاد حسين. وإذا نعت الناصري أمرائهم قال: "أمير أولاد حسين من معقل ثم من أولاد جرّار منهم" (الإستقصا، ج4 ص77). وقد حافظ الجرّاريون على هذا الحكم حتى في العهد السعدي، حيث ورد ذكر أمير جرّاري لأولاد حسين في رسالة من المنصور إلى ابنه المامون (الاستقصا، ج5 ص174). ذاك دليل الرئاسة، وأما دليل العدد فهو انقراض جلّ بطون حسين بسبب الحروب، حاشا أولاد جرّار. وبعد، فاعلم أن أولاد حسين كانوا حلفاء لبني مرين سائر عهدهم، وساهموا بشكل كبير في القضاء على الموحِّدين، لكنّ هذا الحلف تخللته توترات عديدة، بسبب الصراع على الحكم بين الأمراء المرينيين، وظهور المنافسة الزيانية بتلمسان. قال الحسن الوزّان أن الدولة المرينية أقطعت أولاد حسين كثيرا من جبال الأطلس "الآهلة بالسكان [...] جزاء لما قدمته [لها] هذه القبيلة من عون فائق في بداية [دولتها] وتباشر حسينٌ سلطتها فيما بين مملكة فاس [وتافيلالت] ويحكم رئيسهم مدينة تدعى گرسلوين [...] وهم أثرياء أقوياء" (وصف إفريقيا، ج1 ص55)، وگرسلوين تدعى اليومَ إجُرَار، وهي قرب ميدلت. ثم قال النحوي: "وفي القرن السابع [...] دخل بنو معقل في طاعة الدولة المرينية [...] فكانوا لها جنداً يذودون عنها ويجبون لها الضرائب في جنوب البلاد" (بلاد شنقيط، ص32). وقد أشار ابن خلدون بدوره إلى هذا الحلف، فقال أن بني معقل "جاوروا زناتة في القفار والغربية فعفوا وكثروا وأنبتوا في صحارى المغرب الأقصى، فعمروا رماله وتغلبوا في فيافيه. وكانوا هنالك أحلافا لزناتة سائر أيامهم [...] فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا إلى الأمصار والمدن، قام هؤلاء المعقل في القفار وتفردوا في البيداء فنموا نموا لا كفاء له، وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا، ثم توات ثم بودة ثم تامنطيت، ثم واركلان ثم تاسبيبت ثم تيكورارين شرقا" (العبر، ج6 ص77). وقال حسن علوي: "كان لاستقرار عرب المعقل بالمناطق الجنوبية أثره في تراجع مجال النفوذ الموحّدي بهذه المناطق، خصوصا وأن تحالفهم مع المرينيين كان له بالغ الأثر في نجاح [هؤلاء] في التخلص من نفوذ [الموحّدين] وتملك المغرب الأقصى" (سجلماسة، ص168).

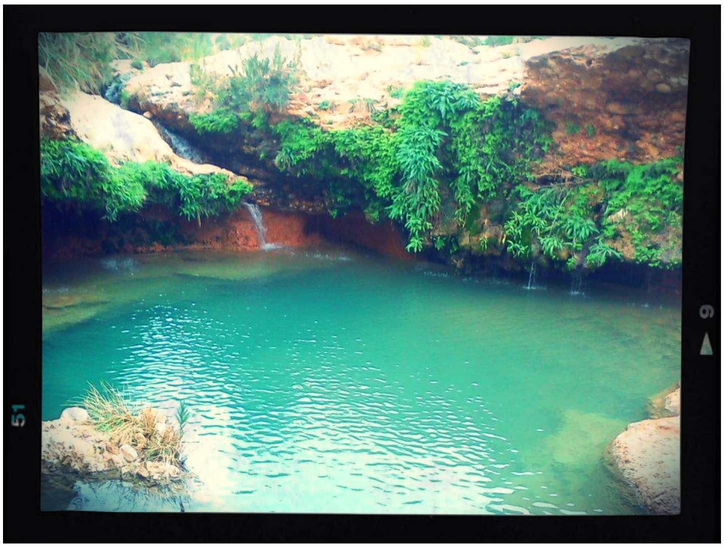
دور أولاد جرّار: في دولة المرينيّين (2)
دعم الأمراء المرينيين في صراعاتهم الداخلية



وادي درعة: أحد مواطن الجرّاريين بالصحراء الشرقية

دأب المرينيون على اللجوء إلى أولاد جرّار للإستعانة بهم، كلما نشب نزاع عائلي على الحكم بينهم. قال البوزيدي: "بعدما استقل الأمير أبو علي [المريني بتافيلالت] ابتداء من سنة 715 [...] قامت قبيلة أولاد حسين بدور أساسي في طرد عامل الدولة المركزية بدرعة وضم المنطقة الى نفوذ أبي علي. وقد دفعت [به سنة 722] لاحتلال مراكش في محاولة منها لفتح الطريق نحو السهول الخصبة في الشمال" (التاريخ الاجتماعي لدرعة، ص55). وقال الناصري في روايته لهذا الحدث: "نهض الأمير أبو علي في جموعه من [تافيلالت] وأغذ السير إلى مراكش، فاقتحمها بعساكره [...] وتقبّض [على عامل أبيه] وضرب عنقه، ورفعه على القناة، وملك مراكش وسائر ضواحيها" (الإستقصا، ج3 ص110). وأحياناً، كان أولاد جرّار يتولّون بأنفسهم تغيير الحُكّام المرينيين؛ كما وقع سنة 764، أثناء حربهم ضد بني معقل الأحلاف. قال البوزيدي: "[حاول الأمير] عبد الحليم [المريني إصلاح] الشقاق الذي وقع بين القبائل الملتفة حوله من بني معقل، فوجّه أخاه عبد المؤمن إلى درعة ليفاوض قبيلة أولاد حسين في العودة إلى صفوف عبد الحليم، إلا أن شيوخ القبيلة أكرهوا عبد المؤمن على البيعة وقدموه أمامهم، فزحفوا على [تافيلالت] واستولوا عليها بعدما هزموا العمارنة والمنبات" (التاريخ الاجتماعي لدرعة، ص54). وفي سنة 784، استنجد الأمير عبد الرحمٰن المريني بالقائد يوسف بن علي الجرّاري ليفكّ عنه الخناق، بعد أن حاصره السلطان. قال ابن خلدون: "كان أبو العباس [المريني] قد نهض في عساكره سنة 783 إلى مراكش، وبها الأمير عبد الرحمٰن [...] مقاسمه في نسبه وملكه [...] فحاصره أولا وثانيا يفرج فيهما عنه. ثم نهض إليه سنة 784 فحاصره وأخذ بمخنقه وأطال حصاره. وكان يوسف بن علي بن غانم أمير المعقل من العرب منتقضاً على السلطان وقد بعث السلطان العساكر إلى أحيائه، فهزموه وخربوا بيوته وبساتينه [بتافيلالت] ورجعوا. وأقام هو بصحرائه منتقضا. فلما جهد الحصار الأمير عبد الرحمٰن بمراكش، بعث أبا العشائر ابن عمه [...] إلى يوسف بن علي بن غانم [الجرّاري] ليجلب به على فاس وبلاد المغرب، فيأخذ بحجزة السلطان عنه وينفس من مخنقه [...] ونزل يوسف بن علي بقومه قريبا من مكناسة [...] ثم وصل الخبر باستيلاء السلطان على مراكش منتصف 785، فأجفل أبو تاشفين وأبو العشائر ومن معهما من العرب" (العبر، ج7 ص188).

دور أولاد جرّار: في دولة المرينيّين (3)
دعم السلطان المريني في القضاء على الخوارج



وادي ملوية: أوَّل موطن للجرّاريين بالمغرب

لما خرج الوزراء على السلطان أبي العباس المريني سنة 789، قام يوسف بن علي الجرّاري بمساندته لاسترجاع ملكه، فهجم على صفرو وفاس ومكناس، وواصل الغارة حتى عاد المريني إلى حكمه. قال ابن خلدون: "ولما استولى السلطان أبو العباس على سبتة وتم له ملكها، واعتزم على المسير لطلب ملكه بفاس، وأغراه ابن الأحمر [الأندلسي] بذلك ووعده بالمدد [...] سار إلى طنجة [...] فحاصرها أياما وامتنعت عليه فجمّر عنهم الكتائب وسار عنها إلى أصيلا، فدخلت في دعوته ومَلَكها. ونهض الوزير من فاس في العساكر بعد أن استخلف أخاه يعيش على دار الملك وسار. ولحقت مقدمته بأصيلا ففارقها السلطان أبو العباس، وصعد إلى جبل الصفيحة، فاعتصم به [...] وكان يوسف بن علي بن غانم [الجرّاري] شيخ أولاد حسين من عرب معقل، مخالفا على الوزير مسعود وداعية إلى السلطان أبي العباس وشيعة له، وكان يراسل ابن الأحمر في شأنه. فلما سمع باستيلائه على سبتة وإقباله إلى فاس، جمع أشياعه من العرب، ودخل في طاعته إلى بلاد المغرب ما بين فاس ومكناسة. وشنّ الغارات على البسائط واكتسحها، وأرجف الرعايا وأجفلوا إلى الحصون [...] ونجم الخلاف على يعيش بالبلد الجديد من كل جهة وطيّر الخبر بذلك كله إلى أخيه بمكانه من حصار السلطان بالصفيحة، فانفضت عنه العساكر وأجفل راجعا إلى فاس. وسار السلطان في أتباعه ودخل في طاعته عامل مكناسة [...] ولقيه يوسف بن علي بن غانم [الجرّاري] ومن معه من أحياء العرب، وساروا جميعا إلى فاس" (العبر، ج7 ص471). كان هذا الدعم الذي قدمه أولاد جرّار للمرينيين نابعاً من الصحراء الشرقية؛ وأما جرّارة سوس، فقد شَقُّوا عصا الطاعة، ولم يخضعوا لأي سلطة أمازيغية، حتى صار الحكم إلى العرب بعد ظهور السعديين. قال حسن علوي عن جرَّارة تافيلالت: "تقرب المرينيون من المعقل وأقطعوهم إقطاعات عديدة، واستعملوهم في الجيش، وصاهروهم وتقربوا من شيوخهم" (سجلماسة، ص168)، وقال عن جرَّارة سوس: "أما عرب السوس فلم يتمكن المرينيون من إخضاعهم رغم الجهود التي بدلوها في ذلك" (سجلماسة، ص169). هل كان انفراد الجرّاريين العرب بين قبائل سوس الأعجمية باعثاً لهذه العصبية؟ وهل كانت حروبهم غير المنقطعة ضد جزولة سبباً لرفض حكم الأمازيغ؟ أياً كان الجواب، فإن هذه العصبية مستمرة للأسف بين العرب والبربر بسوس، وأبواق فتنتها ما زالت تصيح.

دور أولاد جرّار: في دولة المرينيّين (4)
تنافس فاس وتلمسان على تجنيد أولاد جرّار (أ)



قفار الصحراء الشرقية

لما كانت سنة 755، أوقع بنو مرين بالزيانيين على عادتهم، ففرّ الزعيم الزياني من تلمسان إلى القفر؛ وعندما تعقبه بنو مرين، اندرج الجرّاريون في حومة الوغى، فانهزموا أمام جيوش السلطان المريني، وتفرقوا في الصحراء شذرَ مذر. شكّل هذا الحدث نقطة بداية لدخول أولاد جرّار في دوَّامة الصراع المريني الزياني، حيث تنافست الدولتين 16 سنة من أجل الإستحواذ بولاء الجرَّاريين، والإستظهار بجيشهم المعقلي. قال ابن خلدون في روايته لهذا الخبر: "ولما هلك [الزيانيون] وافترق جمعهم، فرّ صُغَيّر إلى الصحراء على عادته، وأقام بالقفر يترقب الخوارج، ولحق به أكثر قومه [...] وخالف أولاد حسين بالمعقل على السلطان أبي عنان أعوام [755] وما بعدها، ونازلوا [تافيلالت] فكاثرهم [صغيّر] وكان معهم، وأوقعت بهم عساكر بني مرين في بعض سنيّ خلائهم، وهم بنكُّور يمتارون، فاكتسحوا عامة أموالهم وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا. ولم يزالوا كذلك شريدا في الصحراء" (العبر، ج6 ص71). وبعد وفاة السلطان أبي عنان المريني، أنقذ أولاد جرّار وزيره ابن مسلم الزياني من بطش ولي العهد، الذي كان يتربّص المُلك ليفتك بالوزير، فأجازوه سالماً إلى عشيرته بتلمسان. ولما نجى ابن مسلم بنفسه وطاب له المقام، رد الجميل لأولاد جرَّار، فأخرجهم من الفلاة، وأقطعهم البلاد التي في ضواحي تلمسان، ثم اتخذ منهم جيشا قويا يقاوم به بني مرين، ويبني به ركائز دولته. قال ابن خلدون: "ولما استولى السلطان أبو سالم [المريني] على بلاد المغرب من بعد مهلك السلطان أبي عنان [سنة 760] خشيه ابن مسلم على نفسه، ففارق ولايته ومكان عمله وداخل أولاد حسين أمراء المعقل في النجاة به إلى تلمسان فأجابوه [...] فاستقام أمره وجمع القلوب على طاعته وجاء بالمعقل من مواطنهم الغريبة [...] وأقطعهم مواطن تلمسان" (العبر، ج7 ص 166). وفي سنة 760، زحف بنو مرين نحو مدينة تلمسان، واستصرخ أبو حمّو الزياني حلفائه الجرَّاريين، "فأرسل من أعيان قبيله رسلاً إلى المعقل شيعة أمره العزيز، وكانوا برأس العين من قبلة دبدو، يقول انهضوا، والموعد وجدة، ثم عرج إليها، فسبقه للحلول بساحتها المعقلُ" (بغية الرواد، ج2 ص127). وقال عبد الرحمٰن ابن خلدون عن هذا الفوز الذي حققه بنو معقل في وجدة، وعن هزيمة بني مرين القاسية: "وصدقهم العرب الحملة، فانكشفوا واستبيح معسكرهم واستلبت مشيختهم وأرجلوا عن خيلهم، ودخلوا إلى وجدة عراة" (العبر، ج7 ص401).

دور أولاد جرّار: في دولة المرينيّين (5)
تنافس فاس وتلمسان على تجنيد أولاد جرّار (ب)



مشهد اختراق القوافل الجرَّارية للصحراء الكبرى

بعد أن تجلت للمرينيين أهمية الجيش المعقلي، وعاينوا الخلل الذي وقع في صفوفهم حينما انتقلت حسينُ إلى بلاد عدوهم، سارعوا إلى تدارك الموقف وإعادة الأمراء الجرَّاريين إلى المغرب. قال حسن علوي: "افتتح [أبو سالم المريني] عهده بالتخلص من الوزراء وتغلبهم، ثم شرع في الإستعداد لمواجهة [أولاد زيان] الذين كانوا يشنون الغارات على المناطق الشمالية للمغرب الأقصى، ويحرضون أحلافهم من عرب المعقل على شق عصا الطاعة للمرينيين –بعد أن أصبح عرب أولاد حسين من ذوي منصور أحلافاً لأبي حمّو موسى [الزياني]" (سجلماسة، ص258). ثم قال عن مواجهة ثانية وقعت سنة 761: "عاود أبو حمّو الثاني وأنصاره من عرب المعقل هجومه على [تلمسان] ففرّ حليف أبي سالم [المريني] في اتجاه فاس بعد انهزام الجيش [...] الذي كان برفقته، والمكون من مغراوة وبني توجين. واستطاع بذلك أبو حمّو طرد المرينيين عن تلمسان بفضل جموع عرب المعقل التي أصبحت في خدمته، وقوَّت جانبه في الجيش والجباية، وكان لذلك أثره في اتساع الخرق بين عرب المعقل وبني مرين" (سجلماسة، ص258). وَمِمَّا يبرز خطورة الأزمة التي وقع فيها المرينيون، ومحاولاتهم الجاهدة لإخراج بني معقل من تلمسان، وإعادتهم إلى وطنهم: رواية لأبي حمّو الزياني في كتابه 'واسطة السلوك'، ذكر فيها أن السلطان المريني "أرسل وزيره للتفاوض مع الزيانيين [...] في شأن استقرار عرب المعقل بمجالات [تلمسان] عِوَض مجالاتهم الأولى بالمغرب الأقصى" (سجلماسة، ص260).
وَتُلَوِّحُ رواية أخرى عند ابن خلدون بوقوع أضرار جسيمة داخل المجال المريني، حيث توغل الزيانيون في بلاد المغرب حتى بلغوا ضفاف ملوية، ما بين گرسيف وأوطاط الحاج. قال ابن خلدون: "لما استوسق للسلطان أبي سالم مُلك المغرب [...] سما إلى امتداد ظله [...] فأجمع أمره على النهوض إلى تلمسان وعسكر بظاهر فاس منتصف [761] وبلغ الخبر إلى السلطان أبي حمو [الزياني] ووزيره عبد الله بن مسلم فنادوا في العرب من زغبة والمعقل كافة فأجابوهم [...] ولما دخل السلطان أبو سالم وبنو مرين تلمسان خالفوهم إلى المغرب فنازلوا وطاط وبلاد ملوية وكرسف، وحطموا زروعها، وانتسفوا أقواتها، وخربوا عمرانها" (العبر، ج7 ص167). هل اختار بنو معقل الهجوم على ملوية لأنها البلاد التي انتزعت منهم؟ مهما كانت الدوافع، لا شك أن هذه الغزوة دقت جرس الخطر في معسكر مرين.

دور أولاد جرّار: في دولة المرينيّين (6)
تنافس فاس وتلمسان على تجنيد أولاد جرّار (ت)



وادي زيز: أحد مواطن الجرّاريين بالصحراء الشرقية

بعد جهود مضنية دامت عشر سنين، استطاع المرينيون أن يعيدوا بني معقل إلى مواطنهم بالمغرب. قال ابن خلدون: "[استحكمت نفرة] بين السلطان أبي حمّو [الزياني] وأحمد بن رحّو [الجرّاري] كبير أولاد حسين من المعقل، بعد أن كانوا فيئة له ولوزيره عبد اللّه بن مسلم، فاغتنمها عمر بن عبد اللّه [المريني] سنة 765 فنزل في حلل المعقل بملوية. ثم نهضوا به إلى وطن تلمسان [...] وخرج السلطان أبو حمّو إلى مدافعة عدوه [...] ولما انتهى إلى البطحاء وعسكر بها، ناجزته جموع [المريني] الحرب وأطلت راياته على المعسكر، فداخلهم الرعب وانفضوا [...] وتسلل أبو حمو يبغي النجاة [...] وسابقه [ابن رحّو الجرّاري] إلى منجاته [...] فكبا به فرسه وقُطع رأسه [ولحق] أبو حمو بحضرته [...] وحدثت المنافسة بين أهل المعقل وزغبة، وأسف زغبة استبداد المعقل عليهم وانفراد أولاد حسين برأي السلطان" (العبر، ج7 ص170). لم يَثْبُتِ الجرّاريون على طاعة الدولة إلا خمسة أعوام، فما أن بويع لسلطان مريني جديد، حتى عادت هيف إلى أديانها، فجاهرت بطون المعقل كافةً بالخلاف، ثم ارتحلت على بكرة أبيها إلى تلمسان. قال يحيى ابن خلدون: "في آخر شعبان سنة 770، وصل إلى أبي حمّو موسى [الزياني] عرب المغرب كافة، أولاد حسين والعمارنة والمنبات، طرداء خوف ملكهم أبي فارس عبد العزيز [المريني] فأجارهم وأكرم مثواهم وأكبر إقطاعاتهم" (بغية الرواد، ج2 ص420). ثم قال شقيقه عبد الرحمٰن ابن خلدون: "لما استبد السلطان عبد العزيز [...] وترددت الرسل [بينه وبين] أبي حمّو [...] كان فيما اشترط عليه، التجافي عن قبول عرب المعقل، عرب وطنه، لما فيه من الإستكثار بهم عليه، وأبى عليهم أبو حمّو منها لاستظهاره بهم على زغبة من أهل وطنه وغيرهم، وكثر التلاحي في ذلك، وأحفظ السلطان [المريني] وهمّ بالنهوض إليه سنة [770]" (العبر، ج7 ص435). وقال حسن علوي عن تتمة هذا الخبر: "تحركت جيوش السلطان عبد العزيز في اتجاه تلمسان لما رفض أبو حمّو إعادة عرب المعقل إلى مواطنهم. واستطاعت الجيوش المرينية دخول عاصمة الزيانيين سنة 771 بعد سنة كاملة من الحصار. ولا يستبعد أن يكون السلطان عبد العزيز قد ربط اتصالاته أثناء حصاره لتلمسان مع عرب المعقل، لأن هذه المدة كانت كافية [...] لتحقيق ذلك، خاصة وأن انهزام الزيانيين كان نتيجة تخلّي هؤلاء الأعراب [عنهم]" (سجلماسة، ص274).

دور أولاد جرّار: في دولة المرينيّين (7)

إختراقهم للصحراء أهّلهم للسفارة



البيار: أحد مواطن الجرّاريين بالصحراء الغربية

بالإضافة إلى دور أولاد جرّار في الجهازين العسكري والجبائي لملكة بني مرين، كان رؤساؤهم يتولّون السفارة والعلاقات الخارجية، فيُبعثون إلى مصر، وشنقيط، وأدغال إفريقيا؛ نظراً لحنكتهم في التدبير السياسي، ودرايتهم بطرق القوافل الصحراوية. قال ابن خلدون: "كان للسلطان أبي الحسن مذهب في الفخر يتطاول به إلى مناغات الملوك الأعاظم [...] وإيفاد الرسل على ملوك النواحي القاصية والتخوم البعيدة [...] فأتحف طرفا من متاع المغرب وماعونه من ذخيرة داره وأسناها، وعيّن رجالا من أهل دولته [...] وأوفدهم بها على ملك مالي منسا سليمان بن منسا موسى [سنة 738] وأوعز إلى أعراب الفلاة من المعقل بالسير معهم ذاهبين وجاءين، فشمّر لذلك علي بن غانم أمير أولاد جرّار من المعقل، وصحبهم في طريقهم إمتثالا لأمر السلطان. وتوغل ذلك الركب في القفر إلى بلد مالي بعد الجهد وطول المشقة، فأحسن مبرّتهم وأعظم موصلهم" (العبر، ج7 ص352)، وقد استشهد علي بن غانم الجرّاري في الأندلس سنة 741 (العبر، ج6 ص87). ثم علّق حسن علوي على هذه الرحلة فقال: "كان عرب معقل يباشرون مراقبيهم على الطريق الصحراوي الرابط بين المغرب ومالي. وهو ما يبرّر تقرب السلطان منهم لقدرتهم أكثر من غيرهم على ربط الإتصال بينه وبين [سلطان مالي] وإدراكاً منه بأن الهدية [...] لم يكن وصولها [إلى مالي] ممكناً بدون إشراف زعيم عرب أولاد حسين عليها" (سجلماسة، ص253). وذكر ابن خلدون حَجَّة يوسف الجرّاري، التي تضمنت أعمالا ديبلوماسية بمصر، فقال: "وصل إلينا عام 793 شيخ الأعراب المعقل بالمغرب يوسف بن علي بن غانم، كبير أولاد حسين [...] يروم قضاء فرضه [...] فوجد السلطان غائبا بالشام في فتنة منطاش [...] فلما عاد من قضاء فرضه وكان السلطان قد عاد من الشام، فوصلته به" (العبر، ج7 ص710)، ثم قال في تتمة الخبر: "واتصل بملك مصر من الترك الملك الظاهر برقوق، وتقدمت إلى السلطان فيه وأخبرته بمحله من قومه، فأكرم تلقيه وحمله بعد قضاء حجه هدية إلى صاحب المغرب، يطرفه فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك، فلما قدم يوسف بها على السلطان أبي العباس أعظم موقعها وجلس في مجلس حفل لعرضها والمباهاة بها. وشرع في المكافئة عليها بمتخير الجياد والبضائع والثياب حتى استكمل من ذلك ما رضيه، واعتزم على إنفاذها مع يوسف بن علي [الجرّاري]" (العبر، ج7 ص482).

دور أولاد جرّار: في دولة المرينيّين (8)
جَلْبُهُم للأشراف السعديين والعلويين من الحجاز



تافيلالت: مدينة الأشراف العلويين أدام الله نفعهم

من أهم أحداث العهد المريني التي غيرت مجرى الحياة السياسية في المغرب: جلب أولاد جرَّار للأشراف السعديين والعلويين من الحجاز في القرن السابع، وذلك في غضون تسييرهم لركب الحجاج. قال هاشم العلوي: "تشير الأبحاث المتخصصة إلى أن [تافيلالت] عملت على الخروج عن طاعة الموحّدين [...] ورافق هذا الوضع الذي انفلت فيه الأمن [...] أن اتجهت قبائل المعقل وكذلك قبائل صنهاجة وزناتة إلى المدينة ونواحيها وأخذ الجميع يتنافس على السيطرة والتحكم في منطقة الواحة الفيلالية [...] إلا أن القبائل المعقلية هي أقوى التجمعات البشرية التي أخذت تسيطر على المدينة. وقد تحكمت في الآن نفسه في الشبكة الطرقية الواصلة بين شمال الصحراء وجنوبها كما سيطرت على طريق الحج، وصار بذلك أمير ركب الحجيج من هذا التجمع البشري العربي [...] وشيخ الركب في هذه الأثناء [أبو إبراهيم العمري المعقلي] هو الذي أشرف على استقدام شريف ينبع النخيل من الحجاز إلى [تافيلالت] وقد تقوى في هذه المرحلة قبائل بني معقل وانتشروا فارضين سيطرتهم على منافذ الطريق إلى [تافيلالت] وبالرغم من تعدد بطون عرب المعقل التي دخلت المغرب، فإن الزعامة بمجالات إقليم تافيلالت كانت تعود لأولاد الحسين والأحلاف وهم من بطون ذوي منصور، وهي من أكثر البطون تأثيراً في أحداث المغرب السياسية ابتداءاً من أواخر القرن السابع الهجري. وقد أصبحت تافيلالت منذ هذا التاريخ خاضعة لتوجيههم ونفوذهم [...] وكانت بينهم فتنة، وتجمعهم العصبية في فتنة من سواهم. وقد أثر نزاع هذه الزعامات بشكل كبير في أوضاع المنطقة [...] مما استدعى استقدام عناصر حكيمة تحقق الحكامة في المدينة وإقليمها. ولعل ذلك هو أحد الأسباب القوية التي حملت القوى الاجتماعية البصيرة بأمور المدينة وخلافاتها المحلية، على استقدام الأشراف الحسنيين [...] وَيُعَدّ حوض درعة وحوض سوس مناطق لتمركز القبائل المعقلية على اختلاف تفريعاتها، وفي هذه الجهات الدرعية السوسية انتشرت الأسرة الزيدانية السعدية التي ستنشأ منها الدولة السعدية [...] فأهل سوس جاؤوا بالزيدانيين وأهل [تافيلالت] جاؤوا بالحسنيين الينبعيين، وهذا ما يبرهن على أن التغير الجديد في قيادة الجنوب المغربي كان بالزعامة المعقلية وبالانحياز لإمامة الأشراف الحجازيين. وقد برزت في [تافيلالت] عصبية عربية قيادية وهي أولاد حسين [...] واستطاع أمير [تافيلالت] التحكم في [...] توات وتيكورارين وتمنطيت [لأنها] مأهولة من طرف أولاد حسين" (مقدمات في تاريخ العلويين، مجلة التاريخ العربي، ع60).

دور أولاد جرّار: في دولة المرينيّين (9)
ظهور نظام الإقطاع



إحدى الواحات التي أقطعتها الدولة لبني معقل

كان الدعم الذي قدمه الجرَّاريون لدولة بني مرين أثناء تأسيسها باعثاً لظهور نظام الإقطاع، وهو سياسة مَكَّنَت الدول المتعاقبة على حكم المغرب –فيما بعد– من نشر الأمن، وترسيخ دعائم الملك. قال جورج مارسي: "كانت الخدمات التي تطلب من العرب محصورة فيما يمكن أن تقدمه قوة مقاتلة، مرابطة في البلاد ومستنفرة للسّخرة، ورئيسها كان مستعدا لتجنيد الفرسان. كان في وقت السلام مكلفا بجباية الضرائب، أو مساندة الأمير، أو الموظف المكلف بالجباية، وفي وقت الحرب يقدم القوات التي تضاف إلى قوات السلطان [...] ورغم أن هذه الخدمات التي يقدمها العرب محدودة ومؤقتة، إلا أنها باهضة التكاليف، فجزء كبير من الضرائب المحصلة تبقى في أيدي الجباة العرب، كما أن الإستعداد للقتال يرافقه عادة توزيع الأموال والمؤن والعتاد عليهم، ولا ينسى الأمير رؤساء القبائل عند توزيع الهبات على مدار العام بمناسبة بعض الأعياد، بالإضافة إلى أجر جوهري وهو يتألف من 'الإقطاع'، إن هذه الكلمة غير محدد طبيعتها وتشمل أشياء كثيرة متنوعة، إن الإقطاع هو عبارة عن جزء من ممتلكات العرش، يسمح الأمير لأحد رعاياه أو لمجموعة من الرعايا بالإستفادة به، وتكون أحيانا منح امتياز أرض اغتصبتها القبيلة، ولا يقدر الأمير على استردادها. أو منح الضرائب المحصلة من القرويين أو الحضر لمنطقة ما أو مدينة، وقد يصبح الإقطاع وراثي، ولكنه يتطلب الولاء للعاهل الذي وهبه ولخليفته، كما يجب على الورثة المستفيدين منه تجديده كلما اقتضى الأمر، فهذا الولاء، وحق الإقطاع، الذي يعطي زعيم القبيلة الوسيلة لتسليح رجاله في حالة الحرب، يجعل هذا التنظيم الإسلامي القديم يتناسب مع نظمنا الإقطاعية في [أوربا]" (بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي، ص323). وقال عبد الكريم كريّم: "عرب الدولة [هم] القبائل الموالية للدولة، وحسب تقدير السفير الإنجليزي في مراكش [هنري روبرت] فإن هذه القبائل كانت على أهبة الإستعداد دوماً لإنجاد [السلطان] بقوات من الفرسان والمشاة، يصل تعدادها إلى مائتي ألف مقاتل، وكان عرب الدولة قد تميّزوا بشعار الجندية ولبسوا شارتها وألحق [السلطان] رؤساءهم بطبقات القواد وأقطعهم ما شاءوا من البلاد [...] وقد كانت القوات المغربية موزعة في المدن والأقاليم للمحافظة على الأمن والإستقرار ولتدعيم سلطان [الملك] وتوطيد أركان دولته، فالدولة استفحلت واستطال جناحها واتسع نطاقها وضاقت حواضر ممالكها وثغورها القاصية والدانية بما تراكم فيها من الجند وتوفر فيها من الحامية" (المغرب في عهد الدولة السعدية، ص242).

دور أولاد جرّار: في دولة السّعديين (1)
دعم السعديين في تأسيس دولتهم سنة 916



أولاد جرّار سوس أزغار: مقر القبيلة منذ ثمان قرون

قبل الحديث عن الدعم الجرَّاري للدولة السعدية، نودّ أن نصحح خطأً وقع فيه بعض المؤرخين، حيث جاء في نص برتغالي قديم –عُثِر عليه مؤخراً– أن قبيلة مغربية إسمها 'إزرال'، أو 'إزرار'، كانت موالية للبرتغال قبل ظهور السعديين (تاريخ سانتا كروز، ص23)، فظنّ البعض أنها أولاد جرّار. وسنبين هنا بطلان قولهم من أربعة وجوه: أولاً، إن إسْمَيّ 'إزرال' و'إزرار' أقرب إلى 'مزوار' و'أيت مزال' و'إدوزال' من 'أولاد جرّار'؛ ثانياً، في تلك الفترة، كانت مزوار موالية رسمياً للبرتغال (التاريخ الاجتماعي لدرعة، ص77)، وجاورت أيت مزال وإدوزال أكادير، بينما صعدت أولاد جرّار إلى المنكب الأبيض؛ ثالثاً، شكّل أولاد جرّار ركيزةً للجيش السعدي، ولا يعقل أبداً أن تقاتل شرذمة منهم إخوانها وهم في عزة وقوة (المعسول، ج19 ص148)؛ رابعا، ذكر رئيس 'إزرار' في رسالة لملك البرتغال أنه القائد الأعلى لقبيلته، وسواد الجرّارة الأعظم كان آنذاك في صفوف السعديين وليس مخيماً عند حصن أكادير (تاريخ سانتا كروز، ص23). ثم لا يلتفت هنا أبداً إلى الرواية الشفهية الأمازيغية؛ لأنها مشبعة بالخرافة، حتى أنها اتهمت جدَّ الجرَّاريين بقتل علي رضي الله عنه. وبعد، فلما نزل الجرَّارة بسوس، صعدت جزولة إلى الجبل، فلم تنقطع الحرب بينهما حتى ظهر البرتغال على الساحل. قال المعسكري: "أهل السوس أحاط بهم العدو الكافر ونزل بجوانبهم من كل جهة [...] وبقي المسلمون في أمر مريج لعدم أمير تجتمع عليه كلمة الإسلام" (الاستقصا، ج5 ص6). ثم قال السوسي: "كم حروب جرت [بين جرّار وجزولة] حتى قام الجزوليون ببيعة أول ملوك السعديين فانضم إليهم إذذاك [أولاد جرّار] حين رأوا القوة في جانبهم فكانوا منذ ذلك العهد صاغية السعديين" (المعسول، ج19 ص148). وقال مارمول: "[أولاد جرّار] أغنياء مقاتلون [...] كان رؤساؤهم أوّل من ساعدوا [السعديين] وتبعوهم في جميع حروبهم، ولهذا قلّدوهم أهم المناصب [...] إن جانب هذا الإقليم كله المواجه [للصحراء] في ملك هؤلاء القوم، وإذا أراد السكان أن يزرعوه، وجب عليهم أن يؤدوا إليهم إتاوة" (إفريقيا، ج2 ص31). وقال الزياني: "أمّا [...] أولاد جرّار [...] فإنهم كانوا جندية مع الملوك السعديين، وهم عساكرهم، وكانوا ينقلونهم بحللهم للنزول [بسهل الغرب] على أنف عرب جشم [...] حيث كانوا شيعة لبني مرين. وكلما رأوا فشلاً في دولة الأشراف ثاروا وغدروا. فعيّن لهم [السعديون] هؤلاء المعقل، فكانوا يزاحمونهم ويراغمونهم وينالون منهم، فإذا وقع فتور في الدولة قاموا لهم وأوقعوا بهم. هذا دأبهم طول أيامهم" (البستان الظريف، ص150).

دور أولاد جرّار: في دولة السّعديين (2)
اختراقهم للصحراء حفَّز المنصور لغزو إفريقيا



مشهد اختراق القوافل الجرَّارية للصحراء الكبرى

لم تنقطع القوافل عن الصحراء منذ أن جُلِبَتِ الجِمَالُ إلى إفريقيا في القرن الثالث الميلادي، بَيْدَ أن نشاطها التجاري ظل ضعيفاً حتى دخل بنو معقل إلى المغرب، فسيطر أولاد جرّار على طرق الساحل ودرعة وتافيلالت، واحتكروا الرواج الإقتصادي بين المغرب ونهر النيجر. وقد ذكر البوزيدي أن أولاد حسين كانوا "يقومون بحراسة القوافل بين وادي درعة وتينبوكتو [وأنها كانت] تذهب محمّلة الى بلاد السودان بالتمور والحنّا والملح الصحراوي لتعود محمّلة بالذهب وأعداد كبيرة من الرقيق [ثم قال أنهم] استفادوا من الأعمال التجارية وأصبحوا يعيشون كأنهم أمراء، كما أصبحت لهم ممتلكات من الأراضي والنخيل [والكثير] من العبيد السود من الجنسين" (التاريخ الاجتماعي لدرعة، ص300). كان اختراق أولاد جرّار للصحراء سبباً مباشراً في غزو المنصور لأدغال إفريقيا، فلما استشار وزرائه، قالوا له: "'إن ذلك رأي عن الصواب منحرف وإنه بمهامه عن الأراء السديدة، ولا يخطر ببال السوقة فكيف بالملوك؟ وذلك لأن بيننا وبين السودان مهامه فيحا تقصر فيها الخطا، وتحار فيها القطا، وليس فيها ماء ولا كلا، فلا يتأتى السفر فيها ولا اعتساف شيء من طريقها، مع كونها مخوفة مملوءة الجوانب ذعرا، وأيضا فإن دولة المرابطين على ضخامتها، ودولة الموحدين على عظمها، ودولة المرينيين على قوتها لم تطمح همّة واحد منهم لشيء من ذلك، ولا تعرضوا لما هنالك، وما ذاك إلا لما رأوا من صعوبة مسالكها' [فقال المنصور] 'إن كان هذا غاية ما استضعفتم به أمري، وفيلتم به رأيي، فليس فيه حجة ولا ما يخدش فيما عندي، أما قولكم بيننا وبينها صحار مخوفة ومفاوز مهلكة لجدوبتها وعطشها، فنحن نرى التجار على ضعفهم وقلة استعدادهم يشقون تلك الطرق في كل وقت، ويخوضون في أحشائها مشاة وركبانا وجماعة ووحدانا [...] وأنا أقوى أهبة منهم وللجيش همّة ليست للقوافل'" (الإستقصا، ج5 ص113). وقال المؤرخ عبد العزيز الفشتالي –الذي عاصر هذه الحملة الكبرى: "فأجابهم [المنصور] بأن هذه المفاوز والقفار لم يتعذر بها السلوك من كل وجه، بل هي سابلة التجار ومدرج غلهم [...] وهم في كل صدر يصدرونه يحتلبون من الرقيق صنوفا وضروباً، من صغير يناهز سن المراهقة، وضعيف التركيب منحل البنية، ممّن لا يقوى القوة على المشي، ومع ذلك فهم يقطعون عرض هذه السباسب سعياً على الأقدام، وخطواً على الأرجل، بين أحقاب رمالها حتى يخلصوا لبلاد المغرب. ثم هؤلاء التجار الخائضون لغمارها المختلفون إليها يعبرونها بأوقار البضائع الثقيلة [...] بين صدر وورد" (مناهل الصفا، ص127).

دور أولاد جرّار: في دولة السّعديين (3)
استخباراتهم التمهيدية في بلاد السودان



بلاد نهر النيجر بالسودان الغربي

شكّل الجرّاريون، رفقة أقاربهم من بني معقل، العمود الفقري لحملة المنصور التي غزت أدغال إفريقيا من المحيط إلى النوبة. فبالإضافة إلى كون المعقل ركيزة الجيش السعدي، ونواته الأولى، قام التجّار المعاقلة بمهام استخبارية في غاية الأهمية، تمهيداً لهذا الفتح العظيم. وقد وصف الفشتالي أحدهم بذي اللسان الساحر والمكر الواسع، ثم روى قصته، فقال: "لما عزم [المنصور] على تجهيز العساكر [لغزو تنبكتو] رءا أن يبعث من قبله أولا عينا إلى البلاد [...] واختار لإحكام هذا التدبير وإتمام الحيلة فيه منصور [السالمي المعقلي] لنباهته ومعرفته بالبلاد لجلب الغارة إليها ولما كان له من المداخلة بملوكها لكثرة اختلافه إلى أبوابهم وجلب التجارة إلى بلادهم، فسرّحه إلى ذلك ملبّساً بالتجارة، فوصل إلى كاغو وقاعدة ملك سكية، فاسترابوا به أولاً، وأفضى به الأمر إلى أن سجنوه ليبتلوه بذلك ويمتحنوه، فعالج الصبر على المِحنة نفياً للريبة وتوصلاً إلى إتمام الحيلة وتنفيق المكيدة، فأسرّها في نفسه ولم يبدها لهم، إلى أن لاح لهم عليه من الشواهد ما يقتضي في الظاهر من أحواله براءاته، فسرّحوه من الإعتقال واستُخدِمَ وأظهر لهم من نفسه المخالصة وأقام لديهم ثلاثة أعوام، يتقرب إليهم فيها بما يُظهر من المناصحة مكراً وخديعةً واعتمالاً في إتمام الحيلة" (مناهل الصفا، ص121). وقال كريّم عن معقلي آخر: "أرسل المنصور وفداً إلى كاغ عام 991 ومعه هدايا عجيبات لتقديم التعازي إلى الملك الراحل ولتهنئة الملك الجديد، ثم للإطلاع على أحوال البلاد كلها، والتعرف على أسكيا الحاج محمد [...] وقد كان على رأس الوفد المغربي الشيخ مؤمن بن موسى العمري المعقلي قسّ زمانه في الفصاحة وطلاقة اللسان [ثم] أرجع أسكيا الحاج محمد الوفد المغربي مكرّماً، وأرسل معه للمنصور أضعاف ما أرسل هو من الهدايا [...] وأما الوفد المغربي فإنه لم يدع من نقير ولا قمطير إلا وأحاط به فهماً وفتله علماً، فقصّ ذلك على أمير المؤمنين أيّده اللّه وشحد به غرار عزمه" (المغرب في عهد الدولة السعدية، ص151). وقد كان جهاز المنصور الإستخباري في غاية القوة والنفوذ –تأمل هذا الوصف الدقيق للفشتالي: "وأما معرفة أخبار الآفاق الشاسعة والأقطار البعيدة [...] فله من رجاله المصطنعين على كل مرقبة رصدة، وعلى كل ثنية نقباء، وفي كل خلوة أو جلوة عيون أذكاها موكلين بنقل ما يحدث من خبر أو قصة أو يدور على الألسنة، وله في كل صنف عين كالئة وأذن واعية وطلائع مرتبة" (مناهل الصفا، ص207).

دور أولاد جرّار: في دولة السّعديين (4)
تدريبهم للجيش السعدي



مدينة تنبكتو عاصمة السودان الغربي

وبعد نجاح المهام الإستخبارية، انطلقت تداريب الجيش السعدي تحت قيادة رجلين أساسيين، هما: الباشا جؤذر الإسباني، والقائد ابن حدّاد العمري المعقلي. وكان المنصور قد كلّف خادمه جؤذر بقيادة جيش بني معقل؛ لكي يخالط أبناء الصحراء، وليتعلم منهم أسرار القفر، وكيفية التأقلم مع بيئته الصعبة. قال محمد الغربي: "أخذ المنصور القائد جؤذر بالتهذيب ودربه على تقاليد البلاط والإمامة ثم عيّنه قائدا لفرقة صحراوية هي فرقة بني معقل، فتعمقت معرفته بالصحراء وأبنائها" (بداية الحكم، ص205). ثم وصف الغربي نوعية التداريب التي قام بها الجيش، وذكر اعتمادها على خبرة بني معقل، وعلى درايتهم بأحوال الصحراء، فقال: "لا يخامرنا شك في أن المعلومات التي قدمها الجهاز الإستخباري إلى قيادة الجيش قد حددت كيفياً أشكال التدريب بالنسبة لتلك الفرقة، ومن ذلك الأحوال الطبيعية، والمناخ، وطبوغرافية نهر النيجر، وترتيبات القتال عند جيش الأسكيا [...] والفرق العسكرية [...] المقاتلة على الأرجل أو على الجياد، أو من القوارب، أو من فوق الفيلة، أو الأبقار. ومن جهة أخرى فإن وجود القائد الصحراوي أحمد بن الحداد المعقلي [...] بين المدربين يقدم أقوى دليل على نوعية الخبرة التي كان على حملة المنصور الذهبي أن تتزود بها ما دامت ستخوض القفر وتركب الرمال. ولقد وجدنا في أغلب المصادر أن المكان الذي اختير ليكون مركز تدريب ومسرح عمليات حية للمناورة والتطبيق هو مكان فسيح على امتداد وادي تانسيفت الواقع على بعد عشرة كيلومترات شمال غرب مدينة مراكش. وعند دراسة خارطة طبوغرافية، نرى أن اختيار هذه الناحية بالذات كان موفقاً للغاية، فلو قلبنا تلك الخارطة لما استطعنا أن نميز بين ذلك المكان وبين الوضعية التضريسية لحوض نهر السنغال عند مدينة غاو [...] ويمكننا القول بأن تلك القوات الخاصة كانت تجري تدريبها ضمن المنطقة [المذكورة] فالخيالة والراجلون يصعدون مع الآكام أو ينحدرون مع الوديان، في هجومات وهمية، وفي اشتباكات بين الأشجار وفوق المستنقعات، وجنود البحر الذين قدِّمت إليهم الزوارق ذات المواصفات الخاصة يقطعون هذا النهر نزولاً وصعودا، وينزلون في إحدى الضفتين أو يركبون منها مع استعمال السلاح على نحو يقربهم من الواقع الذي كان ينتظرهم في نهر النيجر، وأما رجال المدفعية فينقلون أعتدتهم من مكان لآخر، ويتخذون معاقل لهم في الجبل أو السهل" (بداية الحكم، ص210-212).

دور أولاد جرّار: في دولة السّعديين (5)
معرفتهم بالصحراء تنقذ الحملة



أحد مساجد جنّى

بعد كل الخدمات التي قدمها بنو معقل لإنجاح حملة السودان الكبرى، تجلَّت أهميتهم أكثر من أي وقت مضى أثناء عبور الجيش لفيافي القفر المخيفة. قال الغربي: "لقد استفاد جؤذر باشا من وجود القائد الصحراوي أحمد بن الحدَّاد [المعقلي] فجعله قيِّماً على شؤون الماء. وطيلة المائة والخمسة والثلاثين يوما التي أمضاها جؤذر في السير فرض على الجيش نظاماً دقيقاً لم يكن هناك مفر من اتباعه للإبقاء على حياته. وكان في مقدمة ما لجأ إليه جؤذر والقائد ابن الحداد الإمتناع عن السفر أو القيام بأي جهد منذ الضحى حتى الغروب، وكان يسمح للجنود ومرافقيهم بالنوم في أي ساعة من ساعات النهار، غير أنه كان إجبارياً أن ينام الجميع وقت القيلولة، أي الوقت الذي يكون الجسم في حاجة أكبر لتناول الماء، وقد قسم جؤذر أفراد الحملة إلى قسمين متساويين يسبق أحدهما الآخر بليلة أو ليلتين، وكان على القسم السابق أن يحدد أمكنة المياه ويستقي منها، وعندما كان يصل القسم الآخر يجد أن الآبار قد استعادت بعض ما فقدته من المياه في الليلة السابقة، فيستقي منها ويستنزفها" (بداية الحكم، ص223). وبالموازاة مع هذا الدعم المكثف الذي تلقّته الحملة من جنود المعقل المتواجدين في صفوفها، لا فِرَاقَ أنها استفادت من قوافل رُحَّلِهِ أيّما استفادة، ولن نعدم أمثلة على ذلك. قال الغربي عن بني معقل المحاميد: "وبعد مسير ثلاثة أيام بعد منطقة العرق، مرت الحملة بسهل حجري لا زال يعرف بمنطقة عين ابن محاميد [التي] كانت قبل قرنين أو ثلاثة تتوسط بالآبار القليلة الملوحة [...] كما لا نستبعد أن يكون [الجيش] قد قلد سكان هذه الناحية الذين كانوا يخلطون الماء بالعسل لتخف ملوحته" (بداية الحكم، ص240). وقال عن بني معقل البرابيش: "[اضطر] جؤذر للإغارة على قطعان المواشي التي كانت في ملكية [...] البرابيش شرق أروان، فقد اشتكى عيسى بن سليمان [...] شيخ تلك الفخذة إلى المنصور من استيلاء جؤذر على جماله واستعمالها في نقل جيشه" (بداية الحكم، ص240). ثم قال عن تجار الفلاة –وهم من صميم المعقل كما تقدم: "تصادف مع خروج الحملة سفر قافلة من التجار كانت تعتزم التوجه إلى السودان، وقد استغل جؤذر هذه الفرصة فاتخذ من أفرادها أدلاء بحكم ترددهم في هذا الطريق ذهابا وجيئة" (بداية الحكم، ص226). ماذا كان مصير الحملة لولا أن سخر اللّه تعالى ماء المحاميد وجمال البرابيش..؟ فالحمد للّه أولاً وآخرا.

دور أولاد جرّار: في دولة السّعديين (6)
اكتساحهم لأدغال السودان



حصون السودان بعد الحملة

بعد خروج الجيش السعدي سالماً من أهوال الصحراء ومخاطرها، اكتسح بلاد السودان، من مصب نهر السنغال إلى النوبة جنوب مصر. قال الناصري أن جيوش المنصور دخلت سنة 999 "القفر والفيافي فقطعوها في مائة مرحلة [...] فنزلوا على مدينة تنبكتو [...] ثم صاروا قاصدين دار إسحاق سكية، ولما سمع بقدومهم احتشد أمم السودان [...] وخرج من مدينة كاغو يجر الشوك والمدر، يقال أنه جمع مائة ألف [...] ولم يقنع بالجيوش التي جمع حتى أضاف إليها أشياخ السحرة [...] ولما تقارب الجمعان [دارت] بهم عساكر السودان من كل جهة [...] وكانت سلاحهم إنما هي [السيوف] فلم تغن [...] مع البارود شيئاً [...] ولما فتح الله [على المنصور] حُمِلَ إليه من التبر ما يعيي الحاسبين، ويحير الناظرين، حتى كان [...] لا يعطي في الرواتب إلا النضار الصافي والدينار الوافي، ولأجل ذلك لقب بالذهبي" (الإستقصا، ج5 ص121). كان الجيش السعدي يرتكز في أول الأمر وآخره على قوات بني معقل، وخاصة منهم أولاد جرّار، فهم المشار إليهم بأهل سوس ودرعة، الذين نصروا الدولة في بدايتها. ثم لم يكن المنصور الذهبي يثق في غيرهم، حيث قال لابنه المامون في رسالة: "وإن أردتم الخدمة فهاهم أهل هذه البلاد مثل أهل السوس وأهل درعة وأهل مراكش، فكل ما تستخدمون من هؤلاء فلا عليكم [...] وأما من عداهم فلا! على أن [...] الرماة أهل السوس ها هي عندنا كثيرة، فكل ما تريد منهم عرفنا، نبعثهم إليك" (الإستقصا، ج5 ص175). ويقول الأديب الفشتالي في وصف رائع لجنود أولاد جرّار، معاقلة سوس الأحرار: "أهل السوس [...] وعرب المعقل [...] أنصار مولانا [المنصور الذهبي] أيده الله، وعصائب الدولة [السعدية] الذين توكَّأت عند نهوضها على مَنْسَاتِهِم، واسْتَحْصَدَتِ الدُّوَلَ والأَقْيَالَ بشَوْكَتِهم، وابْتَزَّت تيجان الملوك بسيوفهم الطوال وألسنتهم [النارية] من كل مسعِّر الحروب وخائض غمراتها، ممن اجْتَابَ دِلَاصَ الجلد مَفَاضَهُ، وَتَدَرَّع سابغ الشهامة لأمه، أُسُدُ تحملها من الخيل العرابِ عُقْبَانُ، قد أفرغوا على أَعْطَافِهِم من كل زَغْفِ اللام سلخ حية يَتَنَضْنَضُ في أكفهم، من كل لهدم ثعبان فدَارَاش جناحهم، وشد عضدهم بعَسَاكرَ جرّارة من جيوش النار الرُّمَاتِ الحمات، أكفاء الأسود الخَوَادِرِ ثباتاً، وأشباه النمور جرأة، تحمل صواعق قاذفة بألسن من النار مُتَلَمِّظَةً، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم" (مناهل الصفا، ص164).

دور أولاد جرّار: في دولة السّعديين (7)
ذكر ثورة أبي المحلِّي ورجوع إلى تاريخ السودان



بيوت تنبكتو

لما توفي المنصور الذهبي، بويع لابنه زيدان فاندلعت ثورة أبي المحلِّي. وفي سنة 1022، لجأ زيدان إلى أخواله بني معقل من الشبانات وأولاد جرَّار –إذ كانت أمه اشْبَانية، فقال لهم: "إن بيعتي في أعناقكم وأنا بين أظهركم فوجب عليكم الذبّ عني ومقاتلة من ناوأني" (الإستقصا، ج6 ص32). ولما عزم الجرَّاريون على نصرة ابن أختهم، بعث أبو المَحَلِّي رسالة إلى زعيمهم يحيى الحاحي، قائلاً: "'أما بعد، فقد بلغني أنك جنَّدتَ وبنَّدتَ، وفي فم تانوت نزلتَ، اهبط إلى الوَطاء، ينكشف بيننا الغطاء، فالذئب ختَّال، والأسد صوَّال، والأيام لا تستقيم إلا بطعن القنا وضرب الحسام، والسلام.' [فردّ يحيى قائلا] 'أما بعد، فليست الأيام لي ولا لك، إنما هي للملك العلام، وقد أتيتك بأهل البنادق الأحرار، من الشبانة ومن انتمى إليهم من بني جرّار' [...] ثم زحف يحيى إلى مراكش في جموعه فنزل بقرب جيليز –جبل مطل على مراكش، وبرز إليه أبو محلّي، والتحم القتال بينهما، فكانت أول رصاصة في نحر أبي محلّي وهَلَكَ مَكانه، وانذَعَرتْ جُموعُهُ ونُهِبَتْ مَحَلَّتُه، واحْتُزَّ رأسُه وعُلِّق على سور مراكش" (الإستقصا، ج6 ص32). والآن سنعود إلى خبر الجرَّاريين في السودان، وإلى وصف ما حظوا به من مكانة بعد الحملة الكبرى. لا بد للباحث في تاريخ أولاد جرّار بالنيجر أن يعلم بوجود بطنين لهذه القبيلة إبَّان الحملة: هما أهل سوس وأهل درعة. أما أهل سوس، فكان لقبهم الجرّاري؛ وأما أهل درعة، فعرفوا بلقب الدَّرعي. وقد شرح البوزيدي سبب اتخاذ الجرّاريين الدَّرعيين لهذا اللقب، فقال أن أولاد حسين تفكَّكت إلى عدد من القصور، بعد أن اغتنت من تجارة السودان، وتخلّت عن الترحال، فصار انتماؤها السكني أشهر وأوطد من انتمائها العرقي (التاريخ الإجتماعي لدرعة، ص59). وقد عددنا من مجموع الباشوات الذين حكموا السودان 29 باشاً لقبهم الدرعي، ولا ريب أن جلهم من أولاد حسين؛ لأنه لم يجند من مجتمع درعة إلا هؤلاء (بداية الحكم، ص645). قال البوزيدي: "لما قامت الدولة السعدية [...] أرغمت قبيلة أولاد حسين القوية على الخضوع لظل الدولة، ونفوذها، ثم بدا لسلاطين هذه الدولة استخدام [رجالها] في الجيش الرسمي للدولة [فاستقرت] طائفة كبيرة منهم ببلاد السودان وصارت تُمارس مهام إدارية إلى جانب أعمالها التجارية [وشاركت] بشكل كبير في الجيش المخزني بتنبوكتو [حيث كان] أفرادها يتولون مهام الباشوية بالمدينة" (التاريخ الإجتماعي لدرعة، ص301،86).

دور أولاد جرّار: في دولة السّعديين (8)
ولايتهم بأدغال إفريقيا



مساجد السودان

بعد استقرار أولاد جرّار بتنبكتو، وجنّى، وكاغو، وغيرها من مدن السودان، نشأت أجيال عديدة من قبيلتنا في أدغال إفريقيا وضفاف النيجر، وصارت تَعُدُّ البلاد وطناً لها. فلا غروَ إذا علمنا أن فلول بني جرَّار ما زالت منتشرة في تخوم السودان إلى يومنا هذا، من أرض النوبة إلى المحيط، ومن أدرار إلى الغابات الإستوائية. وقد عاصر المؤرخ عبد الرحمٰن السعدي أول جيل جرّاري استوطن بلاد مالي وضفاف النيجر بعد الحملة الكبرى، وكان مطلعا على أحوال بلاده وتطوراتها الإجتماعية؛ نظراً لسعة علمه، وقربه من الولاة وقادة الجيش، حيث كانت تربطه علاقات حميمة ببعض أعيان أولاد جرّار. قال رحمه الله أن الباشا يوسف القصري بعث سنة 1032 القائد إبراهيم بن عبد الكريم الجرّاري إلى جنّى ليكون قائداً فيها، وذكر أنه "مكث فيها عامين كاملين فسعد بذلك المكس وجمع فيها أموالا كثيرا، وتخلص من جميع ما يلزمه في ذلك من اللوازم والعوائد على أحسن الأحوال" (تاريخ السودان، ص226). ثم قال: "وفي عشرين يوما من شعبان في العام السادس والثلاثين والألف [تولّى الباشوية] القائد إبراهيم بن عبد الكريم الجرّاري باتفاق الجيش كلهم، فسكن في دار القيادة، وفي هذا الشهر الذي تولّى فيه عزل الحاكم علي بن عبيد من حكومة جنّى، وولّاها سيد منصور بن الباشا محمود لنك حاكماً، وفي شهر جمادى الأول في العام السابع والثلاثين والألف [...] صار القائد إبراهيم الجرّاري باشا في تنبكت ورجع إلى الدار العالية فهان وضعف في ولايته" (تاريخ السودان، ص226). وقال: "في أواسط شعبان [من العام الحادي والأربعين والألف] توفي القائد إبراهيم بن عبد الكريم الجرّار بمدينة جنّى بعدما أحضرني الكواهي ومحمد بن مؤمن السباعي وشاهداً آخر للوصية، فوصى بما وصى، ودفن في الجامع الكبير وصرفت تركته" (تاريخ السودان، ص246). وقد ذكر السعدي في كتابه عدداً من الجرّاريين الذين استوطنوا السودان في القرن الحادي: فمنهم الشيخ أحمد الجرّاري، الذي رافق أحد الباشوات إلى الحج، فلما داهمهم بنو معقل البرابيش في القفر، استجار الباشا بالشيخ الجرّاري، فأجاره وأنقذه من الأعراب، نظرا لمنزلة الشيخ عندهم (تاريخ السودان، ص233)؛ ومنهم مرسول السلطان عبد الواحد الجرّاري، الذي كان يأتي بأوامر المنصور من مرّاكش (تاريخ السودان، ص248)؛ ومنهم صديق المؤلِّف ومحبُّه السيد محمود الجرّاري (تاريخ السودان، ص295).

دور أولاد جرّار: في دولة السّعديين (9)
ولايتهم ببلاد سوس (أ)



وادي إيسي: أصل أولاد جرَّار التيلگاتيين بالصحراء

بعد أن استتبَّ الأمر للسعديين، اتخذوا مراكش عاصمةً لملكهم، ثم استخلفوا على سوس أولاد عبد العزيز التيلگاتيين، الذين أثبت المختار السوسي انتسابهم لأولاد جرَّار (خلال جزولة، ج2 ص128). قال محمد حجّي: "كانت تيلگات أيام السعديين دار رآسة كبرى في الأطلس الصغير، متسعة البنيان كثيرة العمران، يتوسطها مسجد جامع متعدد البلاطات من جميع الجهات، في وسطه صحن واسع. ولم يبق اليوم غير البلاطات الشرقية، والمحراب المقوس المزخرف على طريقة مساجد الحواضر [...] وكانت الرئاسة والعلم معا في آل عبد العزيز [الجرَّاريين] بعد أن كثرت جموعهم، وتوثقت صلتهم بالسعديين، فتوسعوا في العمران وغراسة البساتين، وأعفوا من النائبات المخزنية، لتصرف زكواتهم وأعشارهم على فقراء القرية والوافدين عليها من الطلبة. [ومن هؤلاء الرؤساء] سعيد بن علي [توفي عام 937] أحد أدباء سوس الكبار [...] اختاره الأمير السعدي أحمد الأعرج كاتباً له، فصحبه إلى مراكش إلى أن عزل، فرجع إلى مسقط رأسه يسير فيه سيرته الأولى تدريسا وإفادة للطلبة [ومنهم] عبد الرحمان بن علي [توفي عام 984] عالم مشارك بارع في الحديث [ولي] قضاء جبل أيت حامد فحكم بالعدل وتورع عما بأيدي الناس ورفض خدمتهم له، وزجر البغاة والمفسدين دون هوادة [ومنهم] أحمد بن سعيد [توفي عام 997] عالم أديب، قام مقام والده في التدريس والوفادة على الملوك السعديين في المناسبات، غير أن قصائده فيهم ضاعت سوى واحدة قالها في عبد الله الغالب تنمُّ عن سعة أفقه اللغوي [...] ولي أحمد قضاء جبل أيت حامد بعد وفاة عمه عبد الرحمان، فحمدت سيرته، وأغدق عليه السعديون من إنعامهم الوافر، وأعفوه وأهله من جميع الكلف المخزنية بظهيرين لأحمد المنصور، وولي عهده محمد المامون الشيخ [ومنهم] الحسن بن سعيد [توفي عام 1033] عالم فقيه، ورئيس امتدت سلطته على معظم جهات الأطلس الصغير، ونال –كسائر أفراد أسرته– حظوة كبرى لدى الملوك السعديين، فأكدوا تعظيمه وتوقيره في ظهائرهم، وأطلقوا له يد التصرف في تلك البلاد بإسمهم [...] لم تصرف السلطة الحسن بن سعيد عن الإشتغال بالعلم والعناية بالطلبة، والإنفاق بسخاء على النساخين الذين كتبوا له نفائس المؤلفات [وقد توفي] وهو على رآسة بلاد جزولة، مخلفاً ثمانية من الأبناء ساروا على نهج أسلافهم في ضم أطراف المجد علماً ورآسة" (الحركة الفكرية، ص591).

دور أولاد جرّار: في دولة السّعديين (10)
ولايتهم ببلاد سوس (ب)



وادي ماسة: ولاية أولاد جرًار التيلكاتيين بسوس

قال المختار السوسي عن أولاد جرًّار التيلكاتيين: "كان لهذه الأسرة الرئيسة العالمة صولة وأبهة وشأن سواء في الدولة السعدية، وفي عهد أمراء تازاروالت وفي الدولة العلوية المجيدة، فلم تزل زينة جزولة وقطب الديانة فيها ونقطة المعارف والأدب والكرم والرياسة حتى أخنى عليها الدهر أخيرا، فأول ما انقطع فيها هو الرياسة يوم دب خلاف كبير بين كبراء منها، فجرها ذلك إلى هاوية سحيقة، ثم عدا على فروعها عادي الدهر، فكادت تنقرض بالكلية، فلم يبق فيها الآن في مساكنها الأصلية أحد وإنما يسكن من أفلت من عوادي الزمان في تانكيست، وفي قرية أخرى إزاءها، ولا يتجاوز الجميع ديارا قليلة ولله الأمر من قبل ومن بعد" (خلال جزولة، ج2 ص127). وقد سمَّى –رحمه الله– القرية الثانية في موطن آخر، فأضاف ما يلي: "قيل لي أن هناك تحت يد بعض أحفادهم القاطنين الآن في قصبة تالاغت وفي تانكيست ما يلقي ضوءاً على أسمائهم وبعض ما يتعلق بهم، ولم يتيسر لنا الإتصال بذلك الآن، وذلك الحصن يسمى أمرخسين، كما اشتهر أيضاً بتيكمي اورومى" (خلال جزولة، ج2 ص119). ثم قال عن الحرب التي فرقتهم، وكانت سبباً في إضعافهم وتشتيت كلمتهم: "كانت الأسرة متفرعة بين العلماء والرؤساء، لكننا وإن عرفنا كثيرين من العلماء، لا نعرف من رؤسائها إلا قليلين، ويقال أن أمرهم كان جميعا متحدا، حتى دب الخلاف بين اثنين منهم، فتقاتلا سنوات، وكان أحدهما من تيلكات والآخر في المعقل الذي كان بعيدا من تيلكات في الشمال الغربي، فأدى إلى الإنحلال {ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم} وقد وقفت بخط عبد الرحمٰن المذكور على ما نصه: 'بدأنا باسم الله العظيم في البنيان بالحصن ثامن ذي القعدة عام 1052.' وأحسب أن للوطأة التي عرك بها السلطان المولى الرشيد جيوش جزولة في بسيط هشتوكة يوم زحف إلى إيليغ يداً كبرى في زعزعة أركان هذه الرياسة [...] أو كان ذلك بأيدي جيرانها بعد ذلك، فقد وقفنا على أن أحدهم كان قتيلا بأيدي بني موسى أوباكو –أبو بكر– وهم جيرانهم، وهو عبد الرحمٰن ابن الرئيس الحسن بن سعيد الشاعر، فقد قيل فيه ولد [عام 1009] وقتل في انكارف شهيداً بأيدي بني موسى بن أبي بكر، قيد ذلك [عام 1060] محمد بن عبد الله بن الحسن [...] والرئيس الحسن المذكور توفي بتيلكات [عام 1033] ولا نعرف الآن غيره من الرؤساء الذين تقدموا قبله أو تأخروا بعده" (خلال جزولة، ج2 ص119).

دور أولاد جرّار: في دولة العلويّين (1)
دعم العلويين في تأسيس دولتهم ونشأة كَيش الأودايا



الصويرة: إحدى المدن التي حرّرها العلويون

حَظِيَ أولاد جرَّار بمنزلة عالية في عهد العلويين، حيث تزوج مولاي الشريف سنة 1050 من سيدة جرّارية، هي أمّ مولاي اسماعيل؛ واقتفى أثَرَه الملوكُ من بعده، فصاهروا الجرّاريين وقرّبوهم، وكانوا ينادونهم الأخوال. قال الضعيِّف: "وكان علي بن حسون قد أهدى إليه أولاد جرّار أمة حسنة فوجهها لمولانا الشريف تأخذ بيده في الحبس وتقوم بأمره" (تاريخ الضعيّف، ص9)، وقال الزياني: "وهي أم المولى إسماعيل" (الإستقصا، ج7 ص14)، وقال الناصري: "المولى الشريف قد وطئها بعقد النكاح [...] بدليل أن [مولاي إسماعيل] لما عزم على جمع جيش الوادايا قال لهم 'أنتم أخوالي' إشارة إلى هذا الصهر" (الإستقصا، ج7 ص14). ثم كان للجرّاريين دور كبير في نصرة مولاي رشيد ابن الشريف، والقضاء على منافسه. قال حنداين: "وبمساعدة [أولاد جرّار] استطاع [المولى رشيد] تخريب إيليغ عاصمة السملاليين، وفر [زعيمها] نحو السودان، وأصر المولى رشيد على متابعته [...] بهدف القبض عليه، غير أنه فشل في تلك المهمة، بسبب موقف ملك البامبرا [...] الذي ساند أمير سوس بقوة" (المخزن وسوس، ص258). وقال الناصري عن نشأة الأودايا: "هذا الجيش من أمثل جيوش هذه الدولة الشريفة أبقى الله فضلها [...] وهو ينقسم إلى ثلاثة أرحاء: رحى أهل السوس ورحى المغافرة ورحى الودايا ويطلق على الجميع ودايا تغليبا. فأما أهل السوس فمنهم أولاد جرّار [...] وكانوا في القديم جندا للدولة السعدية [...] ثم خلطهم [العلويون] بعدُ بإخوانهم [وكان] السبب في جمعهم واستعمالهم في الجندية أنه لما فتح المولى إسماعيل [مراكش] أقام بها أياما ثم خرج إلى الصيد [...] فرأى أعرابيا يرعى غنما له وبيده شفرة يقطع بها السدر، ويضع لغنمه لتأكل ورقه [...] فقال للوزعة علي بأبي الشفرة [...] فأسرعوا إليه وجاؤوا به إلى أن أوقفوه بين يديه فسأله، فانتسب إلى وَدِيٍّ –كغنيّ: قبيلة من عرب معقل بالصحراء [فقال السلطان] 'أنتم أخوالي، وسمعتم بخبري ولم تأتوني، والآن أنت صاحبي' [...] وبعث معه خيلا يجمع بها إخوانه [...] فجمع من وجد منهم وجاء بهم إلى السلطان، فأثبتهم في الديوان وكساهم [...] ثم نقلهم بحلتهم إلى مكناسة الزيتون دار الملك ومقر الخلافة. ثم دخل نجع آخر بعدهم فأثبتهم في الديوان أيضاً، وبالغ في إكرامهم والإحسان اليهم، وعين لسكناهم من مكناسة المحل المعروف بالرياض بجوار قصبتها، وأمرهم ببناء الدور" (الإستقصا، ج7 ص50).

دور أولاد جرّار: في دولة العلويّين (2)
مكانة الجرَّاريين في كيش الأودايا وعلاقتهم بالسلطان



مكناس : أول موطن سكنه الجراريون بعد خروجهم من سوس

لما استوسق أمر مولاي إسماعيل، كان أولاد جرّار من السباقين لبيعته في صحراء بلادنا الأبية. قال ابن زيدان أن مولاي إسماعيل خرج في سنة 1089 "للسوس فمهّده، وبلغ غزوه إلى [شنقيط] وقدم عليه وفود العرب أهل القبلة من عرب معقل والمغافرة وأولاد الدليم والشبانات وبرابش وجرّار ومطاع ووَدِيّ وأدَّوا طاعتهم" (المنزع اللطيف، ص162)، وكل واحدة من هذه القبائل تنسب إلى عرب معقل، ويشكل مجموعها گيش الأودايا العتيد، حُرَّاسُ المغرب وأسود عرشه المجيد. لكنّ الجرّاريين فاقوا أقاربهم في المهارة العسكرية، كما أكدت المؤرخة المعاصرة ثريا برادة (الجيش المغربي، ص64)، وكما شهد الرواة القدامى، كالحسن الوزان، الذي طاف صحراء المعقل كلها ثم قال عن الجرّاريين: "لم أر قطُّ أحسنَ منهم رماية، إذ ربَّما يصيبون رَأسَ إبرة" (وصف إفريقيا، ج2 ص120)؛ وكالأسير الفرنسي مويط، الذي ذكر أن أهل سوس "مشهورون بأنهم جنود ممتازون، وأكثر حذقاً في استعمال الأسلحة من جميع المغاربة" (رحلة الأسير مويط، ص44). وقد كان الإحسان متبادلاً بين الأودايا والعلويين في أغلب الأحوال. قال الناصري: "كمُل [لمولاي إسماعيل] فتح المغرب، واستولى عليه كله، ولم يبق به عرق ينبض [...] ولم يترك لقبيلة من قبائل المغرب خيلا ولا سلاحا، وإنما كانت الخيل والسلاح عند العبيد والودايا" (الإستقصا، ج7 ص81). وقال الفاسي: "كان الأودايا عنصرا مهما في الگيش [...] وكانت تربطهم بالعائلة السلطانية أواصر المصاهرة [...] وكان رؤساؤهم وأعيانهم يتلقون الهبات والهدايا من السلطان، وعاشوا في القصور، وحققوا من الغنى ما جعلهم يحسون بشعور القوة والتفوق" (مدينة الرباط وأعيانها، ص94). وقال الضعيِّف عن إحسان مولاي سليمان: "ثم أخذ في تربية الجيش وفي اشتراء الخيل والملف والكتان يأتيه من مرسة الصويرة [...] إلى أن ركَّب نحو الثلاثة آلاف من الأودايا راكبة مكسية بالملف" (تاريخ الضعيّف، ص265)، ثم قال رحمه الله: "وفي الغد وردت عليه الودايا بتمامهم فأعطاهم مالا فرقوه عليهم من الذهب المنيضة" (تاريخ الضعيّف، ص396). وقال مولاي محمد الثالث عن إحسان الأودايا ووفائهم للعرش: "بعثني والدي مع أخوالنا الودايا فلما هَبَّت رياح النصر وانهزم العدو في ساعة واحدة [...] تقدمنا إلى المحلة فوقفنا على قبة الباشا أحمد وأحرزناها ثم أمرت الحمّالة فحملوا لنا من صناديق الريال على عشرين بغلة" (الإستقصا، ج7 ص161).

دور أولاد جرّار: في دولة العلويّين (3)
قضاؤهم على ثورة ابن محرز سنة 1096



تارودانت: معقل مولاي ابن محرز بسوس

كانت ثورة ابن محرز أعنفَ حربٍ خاضها مولاي اسماعيل، وتفيدنا جل المراجع أن كلا الجيشين المتحاربين كانا تحت قيادة أولاد جرّار. قال حنداين عن قادة مولاي اسماعيل: "قرر المولى إسماعيل [بعد فقدان مراكش] إرسال قائده مسعود الجرَّاري مع أربعة آلاف خيل، لكنه انهزم أمام المولى أحمد، وبعد ذلك قرر السلطان أن يتولى بنفسه قيادة الحرب [...] وعندما وصل إلى أسوار مراكش، انشق جيشه المنهك بكثرة الثورات، وانهزم بدوره أمام ابن محرز [...] غير أن السلطان استطاع أن يقوي جيشه لمحاصرة مراكش مرة أخرى، ليتمكن [سنة 1088] من السيطرة عليها. وفيها فقد المولى إسماعيل أحد قياده الكبار، القائد محفوظ الجرَّاري" (المخزن وسوس، ص268). وقال ابن زيدان عن قادة مولاي ابن محرز، وعن دورهم في إنهاء الحرب سنة 1096: "نزل مولاي اسماعيل بالقرب من مراكش، وكان الروسي يطلب من مولاي اسماعيل أن يعطيه اثنى عشر ألف مثقال ليعطيها الى اثنى عشر شيخا من أولاد جرّار ويغدرون بمولاي احمد بن محرز ويقتلونه. فبخل وامتنع من إعطائها له، وشرع في الحرب، فدامت الحرب بينهما نحو الشهرين أو أكثر، والحرب سجال، لاكنّ أكثرها كان الظفر لمولاي احمد بن محرز على مولاي اسماعيل. فلما خشي التغلب عليه دفع المال للروسي، ورجع الى قومه. وكان أولاد جرّار هم بطانة مولاي احمد بن محرز الذين يركب فيهم، وشيعته التي يأمن فيها، مع النجدة والشجاعة والفتك والإقدام في الحروب. فأخذ المال الروسي منه وسار به سِرًّا، واجتمع مع جميع الأشياخ الاثنى عشر، رؤساء أولاد جرّار، ودفع لكل شخص منهم ألف مثقال، ووعدهم إن هم وَفَوا معه وغدروه وقتلوه. فلما جَنَ الليل دخلوا عليه إلى إفراك، وكان مضروبا وسط حلتهم دون غيرهم من قبائل جيشه، فوجدوه نائما بقبته الخاصة به مع جواريه وحريمه، فوثبوا عليه وذبحوه وهو نائم بين جاريتين من جواري حرمه، ثم دخلوا على خديمه الغرناطي وهو نائم في خبائه فذبحوه أيضاً [...] ثم إن الروسي جمع منِ انقاد من جيش مولاي احمد ومن أهل مراكش وأخذ عليهم البيعة لمولاي اسماعيل" (المنزع اللطيف، ص152). كانت هذه الحرب الضروس تفتك بالمئات في اليوم الواحد (المنزع اللطيف، ص164)، فهل غدر الإثنى عشر شيخاً بابن محرز لكي ينقذوا الجرَّاريين الذين في المعسكرين من أن يفني بعضهم بعضا؟ أم لأجل قرابتهم من مولاي اسماعيل؟ أم فقط لأجل المال؟

دور أولاد جرّار: في دولة العلويّين (4)
خروج الدَّجَّالَيْنِ بودربالة وبوحلاس بصحراء أولاد جرّار



الفروسية المغربية

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يَقبضُ العِلْمَ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقبضُ العُلَمَاءَ بِعِلْمِهِم، حَتَّى إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالاً، فَيُسْأَلُونَ فَيُفْتُونَ بغير عِلْمٍ، فَيُضِلُّوا وَيَضِلُّوا" (متفق عليه).
لقد تجلى مصداق هذا الحديث لما قبض الله تعالى علم آل شعيب الجرّاريين في القرن 12، فخرج الدجَّالان بودربالة وبوحلاس يفتنان الناس في دينهم. قال التاسفتي: "إنه في هذه السنة [1127] تحرك بودربالة [...] في بلاد ولتيثة بأقصى سوس. وقام ورام النصر والملك ومعه طائفة من خيل أولاد جرّار يتحرك معهم ببلادهم يمنة ويسرة ويغيرون على أصحاب الأمير" (رحلة الوافد، ص98) –وقد قتل بودربالة بمراكش بعد أن ادعى المهدوية. ثم قال الإدوزي عن الدجال بوحلاس: "نَجَمَ أوَّلَ سنة 1207 إنسان مجهول النسبة والبلد [...] في ساحل البحر [...] وقد غطى جميع وجهه ولا تظهر منه إلا عين واحدة [...] ملأ بردعته بقراطيس مكتوبة برموز السحر [...] وشرع يذبح على الشياطين في الغيران" (المعسول، ج5 ص142). وروى التسكاتي أنه: "رجل ذو حيل كثيرة وكيود متينة، رجل كذَّاب سحَّار، رجل خدَّاع نكَّار مكَّار غرَّار، يتلوَّن كما تتلوَّن الغول ليصيد الناس [...] لا يصلي ولا يذكر الله البتة، ويبغض أهل العلم والدين [...] يقتل الفقهاء [...] فما أشبهه بالدجال الذي حدثنا عنه النبي صلى الله عليه وسلم" (المعسول، ج5 ص143). ثم قال السوسي: "صار التاسكاتي يستحث العلماء [...] إلى مدافعة هذا الصائل [...] فأجابه الولتيتيون بجيش عدته إثنا عشر ألف [...] وقد كان الجرّاريون وبعض أهل العوينة من شيعته، لِمَا رأوه منه من المخارق التي تخالف العادة" (خلال جزولة، ج4 ص46). ولما انتبه التسكاتي إلى حاجة الجرَّاريين لعالم ينصحهم، كتب إليهم: "إلى كافة بني جرَّارة [...] أما بعد، فاعلموا أنكم في اتباعكم هذا الشيطان على الضلال والباطل، ولم تنتهوا حتى نصرتموه في خطبكم وناديتم به في أسواقكم [...] {يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور * إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير} فإن رأيتم اتباعه فاعلموا أن أهل السنة والجماعة مقاتلوكم حتى ينقرضوا عن آخرهم" (المعسول، ج5 ص145). وقال الإدوزي عن حال بوحلاس لما قتل: "فَوُجِدَ دميما قصيرا كثير الشعر، لم يستحد قط ولم يقص الشارب ولا الأظفار ولا نتف ما تحت جناحيه" (المعسول، ج5 ص146).

دور أولاد جرّار: في دولة العلويّين (5)
العقاب القاسي الذي أصابهم سنة 1143



سور العاصمة الإسماعيلية مكناس

هدم مولاي عبد الله سنة 1143 قصور أولاد جرَّار برياض مكناس، ثم أعدم القائد موسى الجرَّاري وعددا كبيرا من جنود أولاد جرَّار بدعوى تهاونهم. قال حنداين: "دخل المولى عبد الله حلبة الصراع السياسي منذ سنة [1141] وتمت مبايعته بإيعاز من أمه المنتمية إلى الأوداية [...] وواجه مشاكل كثيرة، إذ لم تتم بيعته إلا بعد استسلام المولى الذهبي بعد ستة أشهر من الصراع. ومباشرة بعد توليته، ولتقوية خزينته [...] بعث حملة عسكرية [...] إلى وادي درعة بزعامة موسى الجرّاري، قوامها 2500 رجل لجباية الضرائب، وإعادة هيبة المخزن إلى المنطقة، لكن الحملة أبيدت تقريبا، إذ لم يعد مع القائد إلى مكناس إلا حوالي مأتي نفر" (المخزن وسوس، ص362). وقال الزياني: "وفي [عام 1143] قَتَلَ السلطانُ موسى الجرَّاري وثلاثمائة من أصحابه قدموا عليه من الحركة" (البستان الظريف، ص247). ثم قال الضعيف: "قيل قتل السلطان مولاي عبد الله [...] مائتين من أولاد جرَّار والمغافر [...] كانوا حاركين وأتوا بلا فائدة، فخرَّجوا حَاضْرُون، فقال: 'ما هذا؟' فقالوا له: 'المحلة الفلانية.' فقال: 'خرِّجوا فيهم رشة من الرصاص.' فماتوا" (تاريخ الضعيف، ص159)، وقال العماري: "خرَّجوا حَاضْرُون [...] معناها أطلقوا طلقات بالبارود [...] إحتفاء برجوعهم" (تاريخ الضعيف، ص159). لم يكن هذا الحدث السبب الوحيد وراء غضب السلطان على موسى الجرَّاري، بل سبقه حدث آخر وقع بفاس، قبيل ذهاب القائد إلى درعة –تغمده الله برحمته. قال ابن زيدان: "وفي ثالث صفر [عام 1142 خرج] اللمطيون من باب الجيسة للمحلة التي بوادي المالح وكان قائدها موسى الجرَّاري فوثبوا عليها، وفر أهلها واستولى أهل فاس على جميع ما فيها، وكان من جملة ما غنموا مدفعان" (إتحاف أعلام الناس، ص457). ثم قال عن هدم الرياض: "وفي [27 شوال 1143] وقع الشروع بأمر [مولاي عبد الله] في هدم مدينة الرياض [...] التي كانت زينة مكناسة وبهجتها، وفيها دور العمال والكتاب والأوداية وأهل الدولة الإسماعيلية، والتي كان بها المسجد الإسماعيلي الأعظم والمدرسة والأسواق والحمامات، وكان يقصدها التجار بالبضائع، فلم تمض عليها عشرة أيام حتى صارت كدية تراب. وكان قد أشرف على الشروع في هدمها بنفسه، وفي نظري أن أحسن ما يعلل به هدمه إياها [هو أن] رؤساء الجيش ألهتهم قصورهم الفاخرة بزخاريفها عن القيام بوظائف الدولة" (إتحاف أعلام الناس، ص461).

دور أولاد جرّار: في دولة العلويّين (6)
إحسان السلطان إليهم بعد سنة 1249



قصبة الأودايا بالرباط عند مصب أبي رقراق

أسكن مولاي عبد الرحمٰن گيش أولاد جرّار بقصبة الأودايا سنة 1249، ثم أغدق عليه النعم وخصّ قائده بمنزلة عالية تشهد بها هذه الرسالة: "خالنا الأرضى القائد إدريس الجرّاري، سلام عليك ورحمة الله تعالى، وبعد [...] فأنت أولى من نبثه سِرَّنا ولا ندَّخر عنه شيئا من دخيلة أمرنا [...] وما ذَكَرْتَ مِن أنَّا عاهدناك وواعدناك بالإحسان والتنويه بشأنك، فإنه وعد صدق لا مرية فيه إن شاء الله، وكيف وقد استوجبت منا كل جميل وقدّمك لمعالي الأمور عقلك وصدقك، ولو ألفينا في الجيش مثلك، لضممنا عليه البراجم والرواجب وفعلنا في جانبه ما هو الواجب [...] فطب نفسا وقرّ عينا فلك عندنا من المكانة والحظوة ما لو اطلعت على حقيقته لطربت سرورا ونشاطا، وسترى إذا انجلى الغبار. ولا زال أهلنا يتذكرون إحسانك إليهم بحضرتنا ويلتمسون لك الدعاء الصالح من جانبنا [...] والله لن يخزيك أبدا والسلام" (الإستقصا، ج9 ص38). وأما مولاي عبد العزيز فتتجلى عنايته بگيش الأودايا في كثرة ظهائر مؤونتهم، ومنها الظهير الآتي: "خدامنا الأرضين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة بالله وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد فقد أخبرنا القائد قاسم الأودي أن إيالة إخوانه الذين بقصبة الصخيرات يسألون للأمناء قبلكم من قبل مئونتهم واجب أربعة أشهر كما يسألون لكم واجب ستة أشهر دفعتم لهم منها واجب شهر واحد. وعليه فنأمركم أن تدفعوا لهم ما يسألونه لكم وللأمناء قبلكم من قبل ذلك، والسلام [عام 1325]" (أقاليم شابة، دعوة الحق ع270). وقال كميل عن هبة مولاي محمد الخامس رحمه الله لگيش الأودايا: "لقد وُضعت الأراضي السلطانية المتواجدة جنوب العاصمة الإدارية الرباط [...] في يد جيش الأوداية باعتباره حامي العاصمة والعرش العلوي المجيد. واقتناعا منه بتضحيات ووفاء ووطنية جيش الأوداية غير المسبوقة، فقد استشعر [...] جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، بأن أراضي الجيش ستصبح يوما ما موضع أطماع ومرتعا خصبا لأصحاب النيات السيئة، وهو لذلك وبأريحيته وكرمه أمر وسمح بتفويت هذه الأراضي لفائدة جماعة جيش الأوداية [...] خدام العرش العلوي العتيد، بصفتها المالكة الوحيدة والمنفردة لهذا العقار [...] الذي يمتد على مساحة تقدر بأكثر من 6000 هكتار، تقطنه 6 قبائل تشكل جماعة جيش الأوداية وهي: 'اشبنات'، 'ادرابكة'، 'زيرارة'، 'أولاد ادليم'، 'أولاد امطاع' و'أولاد جرّار'" (أراضي الگيش، ندوة عقارات الدولة).

دور أولاد جرّار: في دولة العلويّين (7)
رشدهم وكرمهم ودورهم السياسي



قصبة الأودايا بالرباط من واجهتها الشرقية

امتاز الجرَّاريون بالرشد، وحسن السياسة، وشيم الكرم الهاشمي. وفي نبذة من تاريخهم بقصبة الأودايا، قال عبد الإلاه الفاسي: "انتقل قواد الاودايا إلى القصبة سنة [1249] والغالب على الظن أن نصف أهل سوس من الأوداية أتوا للسكن فيها بعد بضع سنين [...] ومن هذه العائلات من توارث أبناؤها الجاه والسلطة عدة عقود، وخاصة عائلة الجرّاريين [...] ووصف نائب القنصل [سنة 1264] الطابعَ الأوربي الذي اتخذته مأدبة الغذاء في دار القائد الجرَّاري حيث أعِدَّت الطاولة على الطريقة الأوربية، ووضعت عليها الملاعق والسكاكين وشوكات الأكل، وقد حضر هذه المأدبة أعيان الرباط. وجرت فيها الأحاديث والأسئلة حول فرنسا [...] وزاد القنصل في وصف كرم القائد الذي طلب من خليفته وبعض الجنود مرافقة [النائب] إلى منزله، وبعد ذلك حَمل إليه ثلاثة من الأودايا 20 دجاجة و 300 من البيض [...] ويبين وصف نائب القنصل أن الأودايا كانوا ربما من أوائل الأعيان الذين تأثروا بالعادات الأوربية [...] وهكذا كان أعيان الأودايا يعيشون من جهة أولى نمط حياة التحضر والرفاهية والاقتباس من الحضارة الأوربية، ومن جهة ثانية حياة الكرِّ والفرِّ والبداوة" (مدينة الرباط وأعيانها، ص95-99). كان الأودايا يلعبون دورا سياسيا مهما إلى جانب دورهم العسكري، كما رأينا في الرواية السابقة، وكانوا يشكلون واسطة صلح لإخماد الفتن في مناسبات عديدة. قال الضعيِّف عن حادثة وقعت بفاس سنة 1212: "هدمت البيوت على الطلبة والبعض منهم نائما، وفسد لهم الطعام والزيت والسمن والإدام، وكانت عليهم حسرة كبيرة، فاغتاظ جميع الطلبة لذلك واجتمعوا من كل مدرسة نحو 300 أو أزيد وأرادوا الطلوع إلى السلطان [...] ثم إن الودايا صنعوا طعاما منتخبا للطلبة وبرّوا بهم، وطلبوا منهم أن يسكنوا معهم بفاس الجديد وقويت عليهم النعم، وباتوا في الجامع المذكور، وكنت ممّن بات معهم بفاس الجديد في تلك الليلة، ولم أر ليلة مثلها: بات جميع الطلبة يتلون القرآن" (تاريخ الضعيّف، ص296). ثم ذكر الناصري حرباً طرأت سنة 1140 –أخمدها جرّاري تقدم ذكره، فقال: "وغدا الأودايا على حصار فاس ورميها بالكور والبونب [...] إلى أن قدم من جانب السلطان القائد أبو عمران موسى الجرّاري ساعيا في الصلح، فاجتمع أهل فاس وفاوضهم في ذلك فأذعنوا وبعثوا معه جماعة من الأعيان والعلماء والأشراف يفدون على السلطان ليتم لهم ذلك" (الاستقصا، ج7 ص118).

دور أولاد جرّار: في دولة العلويّين (8)
نشرهم للأمن في الرباط عاصمة المملكة



جند الأوداية الأبرار يحرسون الرباط

حافظ أولاد جرَّار على أمن الرباط وضواحيها، وتمكنوا من القضاء على الفتن التي اشتهرت بها المنطقة قبل احتضانها للمشور الملكي. قال بوشعراء عن تصدِّي ابن الحاج الجرَّاري سنة 1296 لشغب بني احسن –المجاورين للعاصمة: "كتب السلطان لعامليهم بزجرهم وردعهم والتضييق بهم حتى يردوا ما نهبوه [...] ويؤدوا ما تعلق بهم من الحقوق [...] وهذا كله لم يكن ذَا جدوى واضحة، فكان لا بد من حملة واسعة النطاق في كافة الناحية. ففي رسالة بعد نحو السنة [...] جاء أمر آخر 'بالحركة لفساد [بني احسن] والنزول عليهم حتى يزجروهم ويردوهم للجادة، ووجهنا معهم طائفة من الجيش السعيد والعسكر صحبة وصيفنا [...] وأمرنا خديمنا محمد بن الحاج الجرَّاري بالحركة معه بجميع خيل إخوانه خدامنا أهل سوس الأوداية'" (علاقة المخزن بأحواز سلا، ص156). وقال الفاسي عن تصدِّي علَّال 'كبير الحركة' الجرَّاري لشغب بني ازعير –المجاورين أيضاً للعاصمة: "خلف أخاه محمد في هذا المنصب وبرهن على كفاءة عسكرية كبيرة ووصفه المبعوث العسكري الفرنسي بالرباط بالذكاء والديناميكية وقال بأن سلطته ونفوذه كانا يتزايدان يوما بعد يوم على حساب سلطة باشا الرباط [سنة 1297] كما اعترف بالتنظيم المحكم لگيش الأوداية تحت قيادته. ولأخذ صورة عن نوع العمل الذي كان يدخل في اختصاصات هذا القائد نطل على بعض أحداث 1301 حين ثار أولاد كثير من قبيلة زعير على گيش الأوداية [...] وروى القائد الجرَّاري ما وقع في هذه الحادثة في رسالة وجهها إلى السلطان قائلا: 'وحين أطلع النهار أُخْبِرْتُ فَوَجَّهْتُ الرماة لناحية الغابة يَكمنوا بها [...] ووقع شر كبير حيث مات منا ومنهم: فمن الجيش ثلاثة ومن الخيل اثنان، جَرَحوا من الجيش ستة رجال ومن الخيل ستة، وظهرت والحمد لله سعادة مولانا أعزه الله.' وكان النزاع [...] يؤدي أحيانا إلى الهجوم على قصبة الأوداية بتمارة. ففي شعبان [1301] هوجمت القصبة من طرف قبيلة الولالدة [...] وكان سبب الهجوم راجعاً إلى رفض علال الجرَّاري الإفراج عن [ضيفهم الزعري] وكانت مشاغل القائد الجرَّاري لا تسمح له أحيانا بالتعييد مع السلطان. فقد أرسل على سبيل المثال إلى العاصمة في [رمضان 1301] وفداً ينوب عنه بمناسبة عيد الفطر ووجه معه رسالة يعتذر فيها عن عدم الحضور. وكان القائد الجرَّاري يشرف على الأمن والدفاع عن الطرق المؤدية إلى الرباط" (مدينة الرباط وأعيانها، ص182).

دور أولاد جرّار: في دولة العلويّين (9)
حراستهم للسلطان وقضاؤهم على الثورات



الصويرة: إحدى المدن التي حرّرها العلويّون

حرص أولاد جرَّار الأودايا على سلامة السلطان، وكانوا يترصدون كل من تجرّأ على الإيقاع به، أو النيل من وقاره. قال الضعيف عن حادثة وقعت سنة 1154: "جاءت خناثة بنت بكار [المعقلية] هاربة من [مكناس] ودخلت لفاس الجديد خوفا على نفسها من العبيد لما عزلوا ولدها، وبالغد جاء [السلطان] وخرج الوداية [...] وأجابوه بأنهم سيقومون بنصرته [...] والقتال دونه، ففرح بذلك فرحا جاوز النهاية" (تاريخ الضعيّف، ص135). ثم قال الناصري عن ثورةِ عام 1159: "فجاء بعض عيون السلطان [...] وأخبروه بما دار بين العبيد [...] فطير السلطان بالكتابة إلى ودايا فاس الجديد يقول لهم: 'إن كانت لكم حاجة بابن أختكم عبد الله فاقدموا عليه الساعة' [...] فلما كان وقت العشاء وصل [...] من جيش الودايا أربعمائة فارس، فأخرج إليهم السلطان أثاثه وماله وعياله [...] وأَسْرَوْا ليلتهم ولم يصبحوا إلا بفاس الجديد، فدخل السلطان داره وأمن على نفسه" (الاستقصا، ج7 ص175). وقال العراقي: "وقعت على جيش [مولاي سليمان] هزيمة شنيعة [سنة1236] فوصل خبر ذلك لفاس ووقع بها اضطراب وفتن، وأشاع المرجفون أن السلطان [...] غير موجود، فاجتمع خاصة فاس وعامتهم ورأوا أنه لا بد من مبايعة [ملك جديد] فبايعوا [ابن مولاي اليزيد] وطلبوا من جيش الوداية [...] الموافقة على ذلك، فامتنعوا لأنهم تحققوا حياة مولانا سليمان، ووقع القتال [...] ومات من الفريقين كثير [وكان ابن اليزيد على] فشل ريح وقلة مال، لأن بيت المال كان بدار الملك [...] تحت يد الوداية [فلم يتمّ له] أمر حتى قدم [السلطان] فدانوا له [...] فعفا عنهم وسامح الكل" (تاريخ العراقي، ص6). ولما ثار المغافرة عام 1247، تكفل الجرّاريون بإفشال مؤامرتهم الدنيّة. قال الناصري: "وتذامر أهل السوس فيما بينهم وقالوا لا يبيتن السلطان الليلة إلا بداره واستنهضوه فنهض رحمه الله وركب فرسه وصحبوه إلى داره في ذلك الليل فاستقر بها [...] واتصل خبر هذه الفتنة بالقائد إدريس بن حمّان الجرَّاري وهو مسجون بتازا فَاحْتَالَ على سَرَاحِ نَفْسِهِ [...] وجاء يُجِدُّ السَّيْرَ إلى فاس، وَبِنَفَسِ وُصُولِهِ كَتَبَ إلى السلطان يُعْلِمُهُ بما صَنَعَ [ثم] أحسن القيام على عيال السلطان الذين بقوا بفاس [وقال للأمين]: 'ما كنت تدفع إلى دار السلطان كل يوم من دقيق ولحم وإدام وغير ذلك فاكتب لي بقدره وابعث إلي به.' فأحصاه [...] وبعث إليه به فصار يبعث بذلك القدر إلى دار السلطان كل يوم" (الإستقصا، ج9 ص34).

دور أولاد جرّار: في دولة العلويّين (10)
تصدِّيهم للإحتلال وتحريرهم للثغور



الجديدة: إحدى المدن التي حرّرها العلويون

كان لأولاد جرَّار دور أساسي في حراسة البلاد من الأطماع الإمبريالية، وتصدَّى رجال القبيلة قادةً وجنوداً وعلماءَ للغزوات البرتغالية والإسبانية والفرنسية. ففي جهاد البرتغال، ساهم الجرَّاريون رفقة حلفائهم من الشراردة وهُوَّارة في تحرير الجديدة سنة 1182. وروى الناصري أن مولاي محمد الثالث رحمه الله "كان لا يَقِرُّ له قَرَارٌ من أجل مشاركة البرتغال له في قطعة من أرضه، وكان شهما ذا أنفة وإباية. فاستشار أهل الرأي من دولته في غزو الجديدة وفتحها [...] ولما عزم على النهوض إليها جمع جيشا كثيفا من قبائل مراكش والحوز والسوس" (الإستقصا، ج8 ص35)، ومن المعلوم أن قبائل المخزن بسوس والحوز إنما هي حلف أولاد جَرَّار وَهُوَّارَة وَالشّرَارْدَة (المخزن وسوس، ص177). ثم قال الضعيِّف: "نزل أمير المؤمنين على [الجديدة] وشدّ عليها الحصار آناء الليل وأطراف النهار، واجتمعت عليه الحشود والقبائل [...] وأتى قوم من الصحاري لابسين الجلد، راكبين على الإبل الهُوَّاري، لهم شعر في رؤوسهم قد حاف على أذنهم" (تاريخ الضعيّف، ص175). أما في جهاد فرنسا، فقد كان إدريس بن حمّان الجرّاري أول من لجأ إليه أهل تلمسان بعد احتلال الجزائر سنة 1246، فطلبوا منه الدخول في بيعة مولاي السلطان عبد الرحمٰن. قال الناصري: "ولما وقع بأهل الجزائر ما وقع، اجتمع أهل تلمسان [فجاؤوا إلى] القائد أبي العلاء إدريس بن حُمَّان الجَرَّاري وعرضوا عليه أن يتوسط لهم عند السلطان في قبول بيعتهم والنظر لهم بما يصلح شأنهم ويحفظ من العدو جانبهم" (الإستقصا، ج9 ص27)، ثم قال أن السلطان بعث الأوديا إلى الجزائر بعد أن "قبل بيعتهم والتزمها [...] وكتب إلى عامله القائد إدريس [الجرَّاري] يستوصيه بالجميع خيرا، ويكون بصيرة عليهم" (الإستقصا، ج9 ص29). وأما في جهاد الإسبان، فقد سَيَّرَ الجرَّاريون جيش الإسلام، وتصدَّوا للعدو الماكر حيثما حَلَّ وارتحل، فأخرجوه من تطوان، والعرائش، وأصيلا. وقال محمد بن إدريس الجرّاري رحمه الله عن فتح تطوان سنة 1278: "لما طالت الحرب بين المسلمين والنصارى [...] استدعاني السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمٰن رحمه الله وأعطاني ستين ألف مثقال أذهب بها إلى جيش المسلمين المرابط [هناك] وقال لي مع ذلك إذا وصلت إلى محلة المسلمين، فانظر حالهم، وتبصر في جميع أمورهم وما هم عليه في قتال عدوهم من الضبط وعدمه" (الإستقصا، ج9 ص99).

دور أولاد جرّار: في دولة العلويّين (11)
مقاومتهم للحماية



الدار البيضاء

لا شك أن الدار البيضاء والجديدة كانتا من أكثر المدن المغربية تضرراً بالحماية، وقد تصدَّى القائد محمد بن ادريس الجرَّاري لهذا الإحتلال الخفي، إبَّان عمالته على المدينتين، وقاومه بكل إخلاص، معتمدا في ذلك على طرق دينية، وسياسية، وعلمية. قال بوشعراء أن الجرَّاري: "قائد محنك تولى عمالة الدار البيضاء، ثم عمالة الجديدة [حيث أسندت] إليه شؤون الدار البيضاء سنة 1279. وكانت توليته هذه قد حدثت يوم كانت المدينة خالية قفراً ليس بها أكثر من عشرين داراً [ثم] تفشت في الدار البيضاء وغيرها من المدن الشاطئية ظاهرة الحماية القنصلية والتجارية والخلطة مع الأجانب [...] وقد راعت هذه القضية العامل الجرَّاري وأحزنته فكتب سنة 1282 رسالة إلى [...] النائب السلطاني جاء فيها: 'ورأيتُ –أيها الأخ– تساقط المسلمين اليوم على أهل الحمايات، ونسبة جميع أموالهم إليهم، وبذلهم عريض المال في تحصيل الحماية، ومساعدة التجار والأقناص لهم في ذلك، ولا حد ولا حصر، بل تعطلت الأوامر المخزنية رأساً. والأمر الآن في غاية الإزدياد، ولا يكاد يوجد أحد على الإطلاق إلا وله تعلق إما بالتجار أو القُنْصُ، وإما بمن احتمى بهم، وهلمّ جراً. وكادت كذلك أن تعطل الأوامر الشرعية لكثرة تعلق المسلمين وتملقهم وضراعتهم للتجار والأقناص، مع بذل جميع أموالهم، ونسبتها كلها أو نصفها لهم' [...] ظل الجرَّاري مثالا للموظف المحنك ومكث إلى سنة 1291، وهي السنة التي نقل فيها إلى الجديدة المحتاجة إلى رجل في مثل حزمه [...] وذلك أن الجديدة صارت مثل الدار البيضاء قطباً ومركزاً للإستيطان الأوربي [...] وكان تعيين الجرَّاري عليها يقصد به تطبيق الخبرة والحنكة التي اكتسبها بالدار البيضاء" (معلمة المغرب، ج9 ص2956). وقد عَلِمَ القائد محمد الجرَّاري أن المسلمين في حاجة إلى قوة العقيدة، وأنَّ الطُّهُورَ شَطْرُ الإيمان، فبنى رحمه الله مسجداً وحمَّاماً بالدار البيضاء (عبير الزهور، ص246)؛ ثم أدرك أنَّ أُمَّةً لا تعرف تاريخها، لا تحسن صياغة مستقبلها، فَحَفَّزَ صَدِيقَهُ الناصري على التأليف، وأمدَّه "بجميع ما تحت يده من المكاتيب الرسمية والظهائر المولوية المجتمعة عنده من أسلافه الجرَّاريين من جيش الودايا القائمين بأمر الدولة العلوية المتقلبين من مناصبها العالية [فظفر] منه [الناصري] بأكياس مملوءة أوراقاً كلها أعانته على تحرير أخبار الدولة الشريفة من التوقيعات السلطانية والتقريرات الوزيرية في جل القضايا المهمة" (الإستقصا، ج1 ص37).

دور أولاد جرّار: في دولة العلويّين (12)
تمثيلهم للمغرب أَوَانَ رسم الحدود



كان الألمان يدعمون المغرب ضد فرنسا في عهد الحماية

بعد أن تمكنت فرنسا من فرض الحماية على المغرب، شرعت في اقتطاع أجزاء من بلادنا وضمها للجزائر أثناء رسمها للحدود؛ وقد حاول عثمان الجرّاري التصدي لهذه المكيدة سنة 1326، لكن الحذر لم يغن من القدر، خاصة بعد أن دبَّ خلاف على الحكم بين الأمراء. قال برحاب: "الجرّاري الأوديّي عثمان من أعيان الرباط ورجال الدولة في عهد السلطانين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ. تولى منصب نائب وزير الحربية أثناء نزاع السلطان عبد العزيز مع أخيه [عام 1325] وبعد أن عينت الحكومة الفرنسية الجنرال ليوطي مندوباً لمنطقة الحدود [عام 1326] طالبت السلطان عبد العزيز بتعيين مندوب عنه للتعاون مع نظيره الفرنسي والسهر على تطبيق اتفاقيات الحدود التي وقعت بالجزائر [سنة 1320] فعيّن السلطان عبد العزيز تحت الضغوط الفرنسية عثمان الجرّاري مندوباً سامياً للحدود يوم [22 ربيع الثاني 1326] رغم أن الإتفاقيات المذكورة لا تنص على المنصب المشار إليه، بل نصت على تعيين مفوضين عن الدولتين لحل مشاكل الحدود في عين المكان [...] التحق عثمان الجرّاري بمقر عمله بوجدة في أوائل رجب عام 1326 [...] فوضعه الجنرال ليوطي أمام الأمر الواقع، بعد أن أحدث مراكز للجمارك بكل من السعيدية وأحفير وعين بني مطهر، بالإضافة إلى مراكز للحراسة بهدف محاربة التهريب، فوافق المندوب السامي المغربي على الإجراءات المتخذة من طرف ليوطي. واستغل ليوطي أيضاً حضور المندوب السامي المغربي بوجدة لإضفاء المشروعية على القرارات المتخذة بشأن الحدود. إلا أن أصداء الهزائم المتتالية التي لحقت بالسلطان عبد العزيز في صيف [1326] أثرت على سلوك المندوب السامي المغربي، فحاول الإلتحاق بطنجة خوفاً من سطوة السلطان الجديد وطلب من ليوطي التدخل لدى السلطان عبد الحفيظ بهدف حماية أهله ومصالحه بالرباط، ووقع عثمان الجرّاري في حيرة من أمره فيما يتعلق بالمبادرة إلى مبايعة السلطان عبد الحفيظ أو الإلتزام ببيعة السلطان عبد العزيز. لكن تحت ضغط السكان [...] أعلن عثمان الجرّاري ولاءه للسلطان الجديد إسوة بكبار موظفي المخزن بدار النيابة بطنجة، وعقدت البيعة للسلطان عبد الحفيظ [...] وبعد إلحاح شديد من قبل عثمان الجرّاري لأجل العودة إلى الرباط [...] عاد إلى فاس [...] فعيّنه السلطان عبد الحفيظ على رأس معمل السلاح بفاس سنة [1327]" (معلمة المغرب، ج9 ص2955).

الجُزْءُ الثَّانِي



المرابطون الجرّاريون (1): سد الثغور ورعاية المرابطين
1174 -1203



تلقين الرماية للمرابطين بالشواطئ

في أواخر القرن الثاني عشر، ازداد اهتمام السلطان محمد الثالث بحماية الشواطئ وحراسة المراسي، فأنزل جنود أولاد جرّار، وغيرهم من قبائل الگيش، في عدد من الثغور الشاطئية، كالعدوتين، وفضالة، وطماريس، والصويرة (الشموس المنيرة، ص36)؛ ثم منح امتيازات كثيرة للمرابطين بهذه المراسي، كالإقطاعات الأرضية، والهبات المالية، والظهائر السلطانية التي تضمن لهم الإحترام والوقار. قال سعيد أعراب: "منذ أن بدأ الإسلام يتقلص في الأندلس، وحملات الصليبيين تترامى على الشواطئ المغربية، وأطماعهم تزداد مع الأيام [...] وقد لمس [هذا الأمر] السلطان المصلح مولاي محمد بن عبد الله، عند تجواله على الشواطئ المغربية، وتفقده للثغور والربط، فاتصل بالقبائل المرابطة التي حبست نفسها للجهاد، وكرّست حياتها للدفاع عن حوزة البلاد [...] وأصدر ظهائر شريفة تعطي لها الصبغة الرسمية، وتكفل لها البقاء، وتحيطها بهالة من التقدير والإحترام [...] وقد وقفت على مجموعة ظهائر في هذا الشأن [منها ما نصه] 'الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه [...] جدّدنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، لحملته المجاهدين الأخيار [...] على ما بأيديهم من الظهائر الموجبة لهم الإحترام التام، والتوقير الشامل العام، فقد أبقيناهم على عادتهم المعروفة، وأجريناهم على سيرتهم المألوفة، فلا يجري عليهم ضيق، لا قوي ولا ضعيف، ولا يكلفون بكلفة من الكلف، إلا القيام بالعسة في [المرسى] وحراستها من العدو الكافر، وما ينوبهم [...] من قطع العود للمراكب. وغير هذا لا يكلفون به. وما يجب عليهم من زكاة وأعشار، يصرفونه في فقرائهم. ومن طاف بساحتهم، فلا يلومن إلا نفسه، ولا يضر إلا رأسه ، والواقف عليه يعمل به والسلام [سنة 1174.]' وفي ظهير آخر 'نأمر خديمنا القائد عبد الصادق أن يستوصي بهم خيرا، وأن يبقيهم على عادتهم، ولا يترك من ترامى عليهم، حسبما هو مسطر بظهيرنا، والواقف عليه يعمل به ولا يتعداه، ومن خرق عليهم عادة لا يلم إلا نفسه، والسلام [سنة 1177]'" (ظهائر سلطانية للعناية بالربط وحراسة الشواطئ المغربية، دعوة الحق ع125). وقال ابن زيدان أن مولاي محمد الثالث "أمر أن يُجعل في كل مرسى من مراسي المغرب بيت مال، وعند تمام كل ثلاثة أشهر تفتح بيوت الأموال بتلك الثغور ويعطى منها لعسكر كل ثغر وبحرياته مرتب ثلاثة أشهر سيان غائبهم والحاضر" (إتحاف أعلام الناس، ج3 ص300).

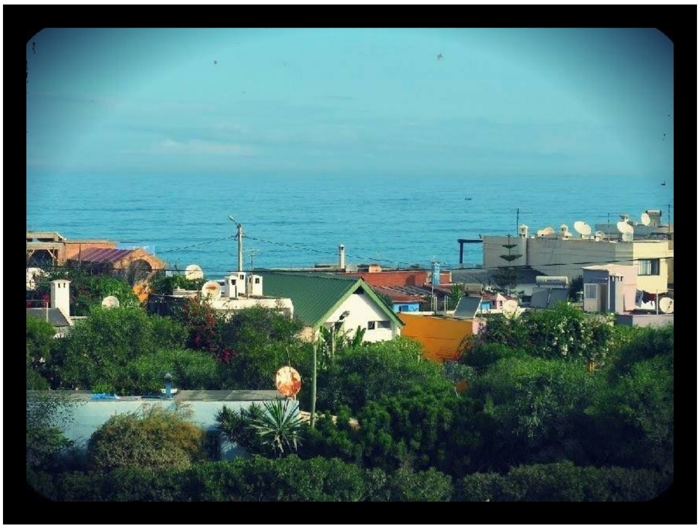
المرابطون الجرَّاريون (2): النظام الإجتماعي للرُّبُطِ
1174 -1203



أولاد جرَّار طماريس على شاطئ بلدتهم

قبل أن نقدم نبذة من تاريخ مرسى طماريس، نودُّ أن نلقي مزيداً من الضوء على النظام الإجتماعي بالربط الشاطئية في المغرب عموماً، ثم على طرق هذه الربط في الدفاع عن حوزة البلاد وردع الأطماع الإمبريالية. قال شاهد عيان من تلك الحقبة أنَّ مَرَاسِيَ الرُّبُط "من الثغور التي يجب سدها وحياطتها من العدو الكافر خذله الله، وأن القائم بحراستها وحفظها منه ليلا نهارا [...] قائمون بها، ومعتكفون عليها، بحيث لا تصحبهم غرة، ولا يلحقهم تقصير ولا ممرة. وأنهم ممن يستحق وصف المجاهدين في سبيل الله، والتوقير والإحترام، والحمل على كاهل المرة والإكرام، لاعتنائهم وحزمهم [...] إذ ما حام العدو في البحر حول حماه، وقام الصريخ، إلا [نهضوا] للقائه ومحاربته، ومضاربته [...] فيرجع على أعقابه مخذولاً، ولم ينل مما رامه مأمولا، نصراً من الله للإسلام، ودين النبي عليه الصلاة والسلام، واستمر على هذا عملهم خلفاً وسلفا، وما زالوا ولا يزالون يزدادون ذلك حباً وشغفا، شد الله في ذلك أزرهم، وجمع على ما يرضيه أمرهم، وأعانهم وقوّاهم، ورضي الله عن المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم" (ظهائر سلطانية للعناية بالربط وحراسة الشواطئ المغربية، دعوة الحق ع125). ثم قال سعيد أعراب في مجلة دعوة الحق: "وهكذا ظلت هذه الرُّبُط العين الساهرة على شواطئ المغرب، تحمي الحمى، وتكف عادية العدو، وكانت كمنظمة شعبية، تستمد قواها من نفسها، وتعتمد على وسائلها الخاصة، وما لديها من إمكانيات، من زكوات وأعشار، وكان الملوك العلويون يرعونها، ويحيطونها بكل تشجيع وتقدير، فصارعت الإستعمار مئات السنين، وكان لها تاريخ حافل بالمغامرات والبطولات" (ظهائر سلطانية للعناية بالربط وحراسة الشواطئ المغربية، دعوة الحق ع125). وقال في عدد آخر من نفس المجلة: "لماذا هذه المراسي بالذات؟ وكيف كان نظامها؟ أما كون هذه المراسي بالذات فلأنها تشكل حزاماً أمنياً لساحل البحر [...] وكان أكثر مواردها من اصطياد السمك، وتصدره إلى جهات أخرى –داخل البلاد [...] وربما كان هناك بعض أحباس لهذه المراسي –كما تشير إلى ذلك بعض هذه الظهائر، وكان إلى جانب كل مرسى برج على ربوة عالية، وكانت العادة أنه إذا دهمهم أمر، أوقدوا النار بها فيتصل بعضها ببعض وترى على مسافة بعيدة، فكانت بمثابة اللاسلكي اليوم، في سرعة الإعلام" (ظهائر سلطانية للعناية بالربط وحراسة الشواطئ المغربية، دعوة الحق ع268).

المرابطون الجرَّاريون (3): نموذج مرسى طماريس (أ)
إِنْزَالُ الرُّمَاةِ السَّبْعِ حَوَالَي سَنَةَ 1182



الربوة التي كان الجرَّاريون يراقبون منها السفن

أمَّا وقد احتجنا لنموذجٍ يعرفنا بهذه الربط، فلا غنًى لنا عن اختيار رباط طماريس الذي ننحدر منه. قال الحمدوشي: "يعود اكتشاف هذا المرفأ –المريسى– إلى العهد البرتغالي [...] إستغله البرتغال في رسوّ المراكب والبواخر نظرا لموقعه الإستراتيجي [...] حيث يوجد في مكان أشبه بخليج [...] بالقرب من بئر حفره البرتغاليون" (مرفأ الصيد التقليدي، المدونة). ونظرا للخطر الذي شكله هذا المرفأ على أمن البلاد، أمر السلطان محمد الثالث بجلب رماةٍ جرّاريين لسدِّ الثغر حوالي سنة 1182. قال الأستاذ الحمدوشي: "أولاد جرّار استقدمهم أحد السلاطين العلويين قبل [قرون] مضت، ووهبهم أرضا تمتد من عين القديد إلى عين زهرة [...] كانوا يمتهنون صيد السمك بواسطة نصب الشباك وبناء المشاكر، ويشدون الرحال إلى المدينة القديمة بالدار البيضاء [...] من أجل تسويق صيدهم [وهم] سبعة إخوة [...] السي بوشعيب، والسي مسعود، والسي التهامي، والسي الطيبي، والسي محمد، والسي المكّي، والسي الحسن. وكانوا من خِيرَةِ الرُّمَاةِ [ثم يُذكَرُ ولوعهم] بحفر المطامير التي كانوا يستغلونها في خزن كل ما هم في حاجة إليه من مؤن وأمتعة" (جريدة بيان اليوم، 25/07/2010). ولا غروَ أن مولاي محمد الثالث اكتفى بسبعة رُمَاةٍ لحماية هذا المرسى من البرتغال، فقد اشتهر بحسن اختياره للأبطال، وباقتصاره على قلة منهم. وقد أشار إلى ذلك الناصري، فقال: "وكان يقتني الرجال ويصطنعهم ويعدهم لأيام الكريهة [...] وكان إذا وَجَّهَ أحدا ممن يعرف نجدته وكفايته ينشد قول ابن دريد: والناس ألف منهم كواحد * وواحد كالألف إنْ أمْرٌ عَنَا" (الإستقصا، ج8 ص68). وتفيدنا الرواية الشفهية أن الرماة كُلِّفُوا بالقضاء على الأسُود المفترسة، بالإضافة إلى حراسة المرسى، وأن الوحوش كانت تملأ غابات المنطقة، وتمنع المسافرين من بلوغ الدار البيضاء –التي كان السلطان يرجو تعميرها. وقد وصف الفرنسي دوتي سنة 1319 هذه الغابات التي انقرضت اليوم، فقال: "ظللنا نسير خلال الأجمات والأدغال، واجتزنا وادي أولاد جرار الذي لم يكن يجري فيه من الماء إلا كخيط رقيق. وكانت الأرجاء مخضرة بما يكسوها من نبات الترمس ووريقاته البديعة وينشر عليها عناقيد أزهاره الزرقاء" (مراكش، ص6 ضاحية البيضاء 25/03/1901). ثم يروي أقاربنا المسنّون أن الرماة السبعة كانوا جلهم حفظة للقرآن، وأن أباهم حرص على إقرائهم المصحف منذ نعومة أظافرهم؛ ليحفظهم الله، ثم ليرتقوا في رتب الگيش، حتى كانت قريتنا تعرف بدُوَّار الطلبة مدة من الدهر، قبل أن تسمى امْرَيْسَى اولاد جَرَّار.

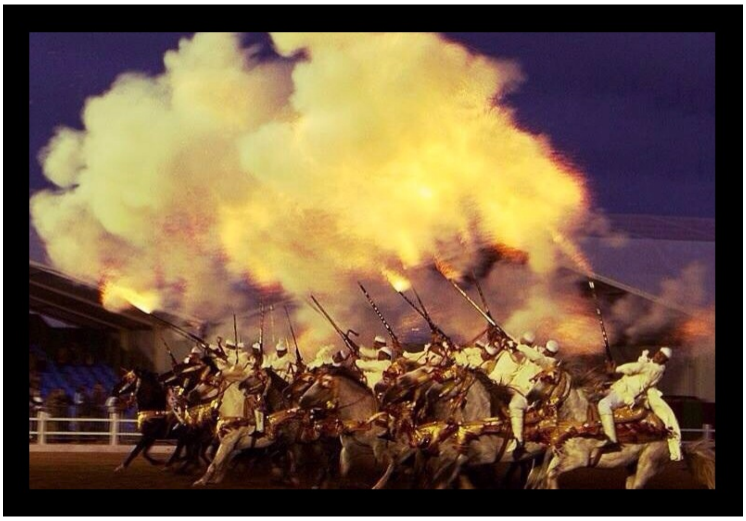
المرابطون الجرَّاريون (4): نموذج مرسى طماريس (ب)
أزمة دار بوعزة سنة 1298



مرسى أولاد جرَّار طماريس

بعد أن لحق الرماة السبعُ بالرفيق الأعلى، مكثت ذريتهم في رباط هذا المرسى المبارك، فعاش الجرَّاريون في عزلة عمَّن جاورهم من القبائل، لا يخالطون الغريب أبداً، إلا ما كان من زيارة بعضهم للدار البيضاء من أجل تسويق صيدهم. وقد كانت لهذه العزلة ثلاثة أسباب: تجرد المرابطين للعبادة، وامتثالهم لأمر السلطان بلزوم المرسى، ثم حظرُ زيارة الرُّبُطِ على المدَنِيِّينَ بظهائر سلطانية شديدة اللهجة؛ كالذي جاء فيه: "ومن طاف بساحتهم، فلا يلومن إلا نفسه، ولا يضر إلا رأسه" (ظهائر سلطانية، دعوة الحق ع125). وبعد أزيد من مائة سنة، تجرّأ طاغية اسمه بوعزة الريگط ابن الحسن الهراوي على ولوج مرسى طماريس؛ ثم استطاع من خلال ماله الكثير، والحماية الإسبانية التي كان يستظل بها، أن يستولي على أرضٍ لأولاد جرَّار، وأن يبني لنفسه قلعةً فوق ربوة عالية، ليحتمي بداخلها. ولما أُطْلِعَ مولاي السلطان الحسن الأول على هذا الخبر، حاول بكل الوسائل هدم البناء، والقبض على الريگط. قال المعروفي: "لما كان البناء ممنوعا على شاطئ البحر تجرأ أحد المواطنين من قبيلة مديونية تحت حماية الإسبان، صهراً لعامل مديونة، فبنى دارا بالساحل بأولاد جرّار قرب الدار البيضاء. وقفنا على ظهير نقله ابن زيدان يتضمن [أمر السلطان] بهدم ذلك البناء. نص الظهير: 'خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش [...] بلغ لعلمنا الشريف أن رجلا مديونيا صهراً لعامل مديونة تجرأ، فبدا له، فابتنى قصرا وبداخله دار بالساحل بأولاد جرّار، قرب مرسى هناك بينها وبينه نحو ربع ساعة، وبينهما وبين مرسى الدار البيضاء ثلاث ساعات [مشيا] وحيث كان البناء في ذلك المحل لم يعهد من أحد ويحصل منه الإضرار بالمرسى من وجوه لا تخفاك، مع كون الساحل محرماً لا يشغل ببناء ولا بنزول ولا بنحو ذلك، حسبما هو معروف عند كل أحد، فأصدرنا أمرنا الشريف بهدم ذلك البناء وإعفاء أثره، ثم ذُكِر لنا أن ذلك الصهر له مخالطة مع قنصل إسبانيا بالدار البيضاء، فكتبنا لخليفة العامل فيما يعرض من الكلام مع ذلك القنصل، وأعلمناك لتكون على بال ونتكلم مع الباشدور هنالك في القضية والسلام. في 29 محرم 1299.' والظهير الذي نقله ابن زيدان المذكور لم يبين فيه اسم العامل، وقد عثرنا على ظهير آخر بالمكتبة العامة بتطوان مبينا فيه إسم العامل [نصه] 'خديمنا الأرضى القائد عبد الله المديوني [...] بلغ لعلمنا الشريف أنك الآن لم تمتثل ما أمرناك به من هدم ما بناه صهرك افتياتا وإعفاء أثره، وعليه فإن تماديت على ذلك فلا تلومن إلا نفسك والسلام. في 26 محرم 1299'" (عبير الزهور، ج1 ص277).

المرابطون الجرَّاريون (5): نموذج مرسى طماريس (ت)
ظلم بوعزة ونهايته سنة 1308



أولاد جرّار طماريس الفائزون ببطولة الفروسية سنة 1434

لم تتمكن الحكومة المغربية من طرد بوعزة الريگط ونصرة أولاد جرّار؛ بسبب الحماية الإسبانية التي كان يستعين بها. بل استطاع هذا الظالم، من خلال ماله الكثير، أن يشتري عددا هائلاً من العبيد لمراقبة الأسوار، وللحراسة الشخصية؛ ثم اقتنى 300 كلب، فبثهم في محيط قلعته، ليمنعوا محاولات التسلل وتسلق الجدران. ورغم كل هذه الحصانة التي اتخذها بوعزة، لم يأمن على نفسه من الجرَّاريين، ولم يذق السعادة التي كان يترجاها، وإنما عاش في هوس ورعب حتى لقي حتفه. قال الحمدوشي: "إسمه الحقيقي والكامل هو بوعزة المديوني الهراوي [...] المعروف بالريكط –سمّي كذلك لأنه يحمل في وجهه المائل لونه نحو السواد نقطا ركطاء [...] إسم بوعزة الريكط كان ولا يزال يقض مضجع أولاد جرّار الذين كانوا ولا يزالون يسمونه بالطاغية والإقطاعي والدموي الذي سلب أجدادهم ممتلكاتهم. وحسب دامية زوجة ولد الداودي شهيب وهي امرأة مسنة لازالت تصارع عوامل الزمن التي رسمت أخاديدها على وجهها والتي زرناها بمنزلها ببلاد العابد قرب منزل بوعزة الريكط، قالت لنا بأن هذا الأخير كان فعلا طاغية وكان بناء ماهرا، وكان يسكن في هذه الدار التي ساهم في بنائها بنفسه والتي شيدت فوق ربوة عالية في موقع استراتيجي وكانت مليئة بالعبيد والنواطير والحراس. وقد خلف ثلاثة أبناء وهم: الجيلالي وعبد الرحمٰن والزوهرة. كما أن [بوشعيب الحلفي] جد الراجي كان يمتهن الحلاقة، وكان محل ثقة بوعزة الريكط الذي كان يناديه بواسطة الرقاص كلما هَمَّ بحلاقة شعر رأسه، لأنه كان يخاف من أي حلاق آخر أن يقوم بحلاقة شعره مخافة تعرضه للذبح بواسطة شفرة الحلاقة. كما كان له عدد هائل من العبيد والحراس والنواطير، ويشاع بأنه كان يأمر بعض عبيده بحفر المطامير لدفن خزائنه ويقوم بقتلهم بمجرد الانتهاء من عملية التطمير بل يطمرهم وهم أحياء وسط حيطان التابية" (خلفيات تغيير الاسم، بيان اليوم). إننا نعتقد جازمين أن ظلم بوعزة الريگط استمر ما يزيد عن ربع قرن؛ لأن أول ذكر لجرائمه هو قتله الوحشي لعبد السلام الجرَّاري سنة 1282 (عبير الزهور، ج1 ص232)، ولأن الواحد القهار سبحانه وتعالى قبض روحه وهو مستبد وسط قلعته سنة 1308. قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الظالم إذا مات: "العبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب" (متفق عليه). ولمّا قضى بوعزة، باع الورثة داره إلى مولاي عبد العزيز، وغادروا المرسى، فصار السلطان يزور منطقة أولاد جرَّار من أجل الصيد والإستجمام، وكان يفضلها على غيرها من البلاد.

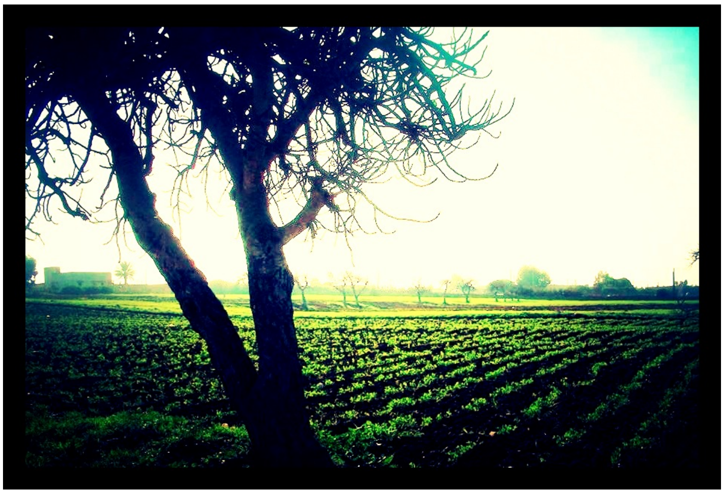
المرابطون الجرَّاريون (6): نموذج مرسى طماريس (ث)
مقاومة الإحتلال سنة 1325



البارجة 'لاگلوار' التي شاركت في معركة دار بوعزة

بعد وفاة الريگط بأقل من عشرين سنة، ظهر عدوان جديد أدهى وأمر، وهو هجوم فرنسا الهمجي على الدار البيضاء وضاحيتها يوم 25 جمادى الثاني 1325، حيث ارتكب الجيش الفرنسي جريمة حربٍ بأبشع صورة في حق الأبرياء العُزَّل، الذين اجتمعوا قرب السور الجديد بإيعاز قنصل باريز. ثم حاول جنود الإحتلال التوغل في الأراضي المغربية، فتصدت لهم أول مقاومة بطولية بأولاد جرّار طماريس، حيث انهزم جيش العدو رغم سلاحه العتيد، ورغم الدعم المدفعي من البارجة 'لاگلوار'، التي كانت راسية في عرض البحر على بعد كيلومترين من طماريس. ومباشرة بعد نهاية المواجهة، اعترفت فرنسا بقوة المغاربة، وصرّح خبراؤها، سِرِّياً، بأنهم لم يروا مثيلا للنجدة المغربية في كل مستعمراتهم حول العالم، ثم طالبوا بمضاعفة الإمدادات (التدخل الأجنبي، ص304). قال الخديمي: "معركة دار بوعزة [18 رجب 1325] حدثت هذه المعركة لما علمت قيادة جيش الاحتلال بأن مجموعات من فرسان المغاربة تتجمع في ضيعة تبعد عن المعسكر الفرنسي ب 4 [كلم] حطمت هذه المعركة معنوية الجنود الأجانب الذين احتكوا بالمغاربة وقاسوا شجاعتهم في القتال بالرغم من ضعف تسليحهم [قال الأميرال فليبير] 'مرت بداية الأسبوع بالدار البيضاء هادئة، ثم اضطربت بهجوم وحشي وطويل أظهر فيه المغاربة شجاعة معتبرة. كنا نشاهد القتال الضاري على بعد كلمترين من البحر، وحاولنا بالمدفعية إبعاد المغاربة، ولكننا اضطررنا للقتال متراجعين [...] ماذا نفعل مع هؤلاء الفرسان المندفعين؟ كيف تقع هذه الهجومات الجنونية بعد الدروس القاسية التي لقّنّاها من قَبْلُ للمغاربة؟ إنهم متحمّسون جداً وواثقون من شجاعتهم. فهم يتبعون تعبئة ماهرة، وفرسانهم أسرع من فرساننا، والگوم يقاتلون متراجعين فلا يصيبونهم. هذه ثلاثة أسابيع مرت على نزولنا، واليوم نتعرض لهجوم يصل الى 300 متر من المعسكر، وهكذا يمكن القول أن أي تقدم لم يحرز على المغاربة" (التدخل الأجنبي، ص294). وأما الحدث الذي برهن أن المرابطين الجرَّاريين شُمُّ الأنوف، فهو كونهم القبيلة البيضاوية الوحيدة التي لم تغادر أرضها، رغم شراسة العدو، ورغم سلاحه الفتاك. قال الضابط الفرنسي ترينكا: "شارك أهل مديونة بقوة وفعالية في جميع الأحداث والوقائع التي عرفتها مدينة الدار البيضاء وأحوازها، وقد تضرّروا إثر ذلك وبشكل فادح من جرّاء التواجد المكثف لأعداد كبيرة من [الجيش الفرنسي] بل إنهم انتقلوا للإقامة عند حلفائهم في المناطق المتضرسة [...] وحدهم أولاد جرّار ظلوا في أماكنهم" (قبائل الشهاونة، تقارير جورج ترينكا).

القادة الجرّاريون (1): الحسين بن المهدي الجرّاري
1287 - 1365 (جَدُّ المُؤَلِّفِ)



جنان الحسين وإحدى دياره رحمه الله

يُنسَبُ القائد أبو أحمد الحسين بن المهدي الأصغر بن المهدي الأكبر الجرّاري المعقلي الجعفري إلى ذرية الرماة السبعِ السابق ذكرهم في تاريخ مرسى طماريس، وتلقبه عشيرته: 'عزّ القبيلة'. عُرِفَ رحمه الله، عند القاصي والداني، بالبرِّ والإحسان، وصلة الأرحام، وشجاعة القائد المقدام. كان يُحَكِّمُ شرع الله، ولا يخاف في ذلك لومة لائم، ويحافظ على شعائر الدين، وطاعة أمير المؤمنين. وإذا أمره السلطان أن يلتحق بالمحلة في البيداء، سرَّج جواده، وجمع جنده، وامتثل للنداء. ولما وقع المغرب في فخ الحماية، حرص القائد على التخفيف من معاناة المسلمين. ويحكى أن بقرة لأحد رعاياه انفلتت يوماً إلى معسكر العدو، فجعل بندقيته وراء ظهره، وبادر وحده لاسترجاعها، دون أن يبعث خلفها أحدا –مصداقاً لحديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "كلكم را ع، وكلكم مسؤول عن رعيته" (متفق عليه). ومن أجلّ المحاسن التي يُشَادُ بها في سجل هذا القائد الأَبِيِّ: رفضه الكامل أن يبيع أحد من المسلمين أرضَهُ للأجنبي، فإذا احتاج شخص من القبيلة إلى المال، وبدى له أن يبيع أرض الأجداد، تصدى القائد بماله الخاص؛ ليمنع استيلاء الكفار على ممتلكات المسلمين. ومن معالم طماريس التي ما فتئ عابر السبيل يهتدي بِصُوَّتِهَا: جنان الحسين! وهي حديقة فريدة ملأها بأشجار الفواكه الإستوائية، التي لم يكن لها وجود بالمغرب، بَيْدَ أنها اضمحلت بعد مماته وضعف إنتاجها. وقد ولد جَدُّنَا القائد الحسين حوالي سنة 1287، وتوفي حوالي سنة 1365، وتزوج من أربع، إحداهنّ جدّتي خَدُّوج بنت الحسن ابن الحاج محمد بنِّيس –أمين الأمناء في عهد مولاي الحسن الاول. وأما أولاد القائد، فهم أحمد وعمر ومصطفى، وكان له من البنات آمنة ورقية وحليمة وفاطنة وزهرة وغيثة. ولم يعقب الذَّكَرَ أَحَدُ من أبنائه، إلا والدي عمر رحمه الله، فكاتب هذه السطور هو حفيد الحسين الوحيد من أبنائه الذكور. وأما المهدي الأصغر، فكان رجلاً تقياً صالحاً، ونشأ يتيماً، حيث توفي أبوه المهدي الأكبر وهو لا يزال حملاً، ولذلك سمّي باسمه؛ ثم حجَّ رحمه الله ماشياً، فاستغرق السفر ستة أشهر ذهاباً وإياباً، وابتلي قومه بالريكظ في حياته. وقد أعقب تسعة ذكور وبنتين: مُحَمَّداً، ومَحمداً، وأحمدَ، وعلياً، والحسنَ، والحسينَ، وأبا شعيب، والطيبي، وبلعيد، ومريم، وعائشة. أسئل الكريم المنَّانَ أن يجمعنا بذوينا وأَحِبَّائنا في نعيم الفردوس، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير. قال تعالى: {والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيءٍ كل امرئ بما كسب رهين} (الطور: 21).

القادة الجرّاريون (2): مَحمد وعبد السلام الجَرَّارِيَّان
1299 – 1331



{فأثرن به نقعا}

دَوَّنَ التاريخ أسماء العديد من القادة الجرّاريين، وسنخصّ بالذكر هنا اثنين من خيرتهم. أما القائد الأول، فهو مَحمد بن علي الجرّاري رحمه الله. قال عنه السكراتي: "[كان] حسن الهيبة، بشوشا في وجوه الناس خاصة وعامة، يطعم الطعام، ويكفل الأيتام، منقّح الأخلاق، واضح البشاشة، بعيد الغضب، وَسِعِ الناس كلهم بأخلاقه وحسن سياسته، فأقاموه ونصبوه واسطة بينهم وبين مهمات الدهر [...] وكان لا يبالي رحمه الله بالعظائم، ولا يخطر له بالبال خوف الرجال، ولا يدري ما هي النكبات ولا الأوجال، سخيا جدا بلغ النهاية في الجود، لا يمسك ماله عن أحد [...] وكان غالب ذكره إسم الجلالة، وصار لسانه رطبا بذكر الله، وإنه كان لا يتسبب في الفتن والخوض كعادة أمراء السوس، وكان يسامح الناس على هفواتهم وجرائمهم العظام، ولا يأخذهم بها، فربما أكل له أحد ماله، فيصرح على رؤوس الأشهاد: إني سامحت فلانا فيما أكل لي من مالي، وقد جمع الله فيه من المكارم ما لا يجتمع في غيره" (المعسول، ج19 ص153). وقال عنه السوسي: "كانت بندقية أوربية في يد القائد [مَحمد الجرّاري] من نوع الست عشرة رصاصة كان يصمى بها فيذكر بذلك، وقد كان مسعر حرب" (المعسول، ج19 ص157). وأما القائد الثاني، فهو عبد السلام بن محمد الجرّاري رحمه الله. قال السكراتي أنه: "سار في قومه وعشيرته بسيرته الحميدة، وكان له محل في الحلم لا تقلقله الجبال، كبير الهمة، متواضع لله، مع ما انضاف إلى ذلك من الشجاعة والإقدام في محل الخطر، مما ليس لغيره، تراه عند النائبات إذا احمر الوطيس، واشتد هيجان الحرب، كأنه جبل راس، وحصن يأوي إليه الضعيّف والخائف، لا يتزحزح عند طوارق البارود، ولا يروعه شخير الخيول عند الإصطلام، في ساعة تذوب فيها القلوب والألباب ينثال إليه الناس من كل جانب [...] وكان لا يألو جهده في إقامة شعائر الدين، يدافع عن قبيلته، ويجلب لها المصالح، ولا ينالها ضيم، مع توسطها بين قبائل العدو [...] يحب العلم وأهله، ويعظم أهل البيت، ويهش في وجوه الغرباء والمساكين المنقطعين، وكانت داره رحمه الله دارا واسعة للنزول وللضيوف، لا يحتاج قاصدها إلى مرشد ودليل، فإذا وصل القاصد إلى باب داره دخل بلا سؤال إذن لرب المنزل. بل يدخل كأنه داخل لمنزله، يربط بهيمته ويعطي لها التبن من أهرائه، لأن أهراءه لا قفل عليها بل هي مفتوحة أبدا [...] وكان يحب العدل ويميل إليه، ويكره الجور [...] وله فراسة حادة ترى عواقب الأمور [...] والغالب على لسانه: أستغفر الله العظيم" (المعسول، ج19 ص158).

القادة الجرّاريون (3): عِيَاد بن مَحمد الجرّاري
1361 -1331



القائد عياد بن محمد الجرّاري

هذا القائد، قد حجبت عن الأعين محاسنه، وزوّر الحساد حكايته، ونحن سنعرض هنا بإذن الله شيئا يسيراً من فضله ومكارمه. قال السكراتي: "القائد عياد بن محمد الجرّاري، صاحب التوفيق والتسديد، والرأي الصالح السديد، وهو فتى جمع الله فيه بين الصرامة والحلم، وزاده بسطة في العلم والجسم، وألبسه الهيبة والوقار، ورقاّه أعلى رتب العز والفخار، عالي القدر والشأن، وفريد العصر والأوان، العاكف عل تحصيل العلم الشريف، الدؤوب على التحلي بحليه المنيف [...] فإني لا أقول إلا حقا، ولا تسمع إلا صدقا، فإنه ليث في الحروب [...] فلا ننساه يوما كثر فيه الضرب والطعن [...] يوما برأس الطرف، وما أدراك ما رأس الطرف، حشد فيه القائد 'باقا' جنوده وعساكره وقبائله، وقصد بلاد أولاد جرّار فكان ملتقى الجمعين برأس الطرف [...] فجعله أصحابه حاجزا بينهم وبين أسنة العدو [...] فاقتحم القتال وناجز الأبطال في أشد حال، تُقَلّصُ الشِّفَاهُ فيه عن الأسنان من شدة كلوح الأبطال، فلما رأى جمع أعدائه قد أقبلوا نحوه، وحضّ بعضهم بعضا على صدق قتاله وقد عرفوه، عطف عليهم لقتالهم غير مذمّمٍ، فلم يزل يرمي الأعداء بنحر فرسه، حتى تلطخ بالدم، فمال إليه فرسه من شدة ما لقى من رماح العدو في صدره، فلو كان يعلم الخطاب لاشتكى إليه مما يقاسيه ويعانيه، فحمل على عدوه، وشفى نفسه، ونفى غمّه" (المعسول، ج19 ص176-190). جمع القائد عياد بين الشجاعة وبعد النظر، وأدرك إبّان الإحتلال أن أمواله ستنفع المقاومة في الجبال والشعاب، ففضّل أن يُدَارِيَ العدو ليُبقِيَ الجاه وينفع الأصحاب؟ قال المختار السوسي: "والحق الذي يجب أن يعرفه التاريخ أن القائد عيادا [...] تكونت [له] هالة متسعة [...] وقد كان يمشي مشية تليق بذلك العصر [...] وأبرز خصاله أنه فولاذي الإرادة، إلا إذا رأى من لا يطير تحت أجنحتهم ، فإنه يعرف كيف يداري" (المعسول، ج19 ص199). وقال عن دعمه للمقاومة ومخالفته للعملاء: "لم يزل مع الهيبة وآله ناصرا [...] وهو الذي قدّم من البهائم ما حملت به أثقالهم [...] ويظهر نصره لرؤساء الحكومة أحيانا. وقد كان ما بينه وبين القائد المدني منتكث الحبال، فكان يداخل أعداءه في الإيالة المجاهدة [...] ويسرب إليهم المال وذخائر الحرب. فكان ذلك هو السبب الحقيقي حتى نفي واعتقل" (المعسول ج19 ص175).

القادة الجرّاريون (4): عِيَاد بن مَحمد الجرّاري
1361 -1331



القائد عياد بن محمد الجرَّاري

يكفي عياداً فخرا، أنه نهض بالمجال الثقافي والقطاع التعليمي بعين أولاد جرّار، حيث شيد المدارس، وملأ المكاتب، وحشد هِمَمَ العلماء للتأليف، فكان لذلك أثر في تمدن عين أولاد جرّار، وفي وفود الطلبة إليها من بعيد الأمصار. ثم يعود له الفضل، بعد الله تعالى، في إنشاء موسوعة المعسول، حيث أكد السوسي أنه: "هو الذي شجع المؤلفين سيدي محمد الإيكراري وسيدي علي بن الحبيب، فأمكن لهما أن يجمعا في مؤلفيهما ما انتفعنا به نحن التابعين [...] فإننا نوقن أنه لولاه لما ظفرنا اليوم بما ظفرنا به من أقلامهما" (المعسول، ج19 ص172-199). وقال السكراتي عن القائد عياد: "كان من أجل ما أنعم اللّه به عليه أن صرفه عن الإشتغال بمحدثات العلوم، وعن الخوض في مبتدعات الرسوم، ووفقه لدراسة سنة نبيه الأمين صلى اللّه عليه وعلى آله ذوي المجد واليقين، فاشتدت رغبته فيها، وكثر تطلعه إليها، وأدام النظر إلى كتبها، حتى رزقه اللّه حظا صالحا فيها، وهو في ذلك آخذ بحجزة الإتباع، شديد الوقى من نواشط الرأي والإبتداع [...] ومن جملة ما يُسَطَّرُ له [...] إحياؤه للمعاهد العلمية [...] فإنه سعى في إصلاح مدارسها الكبار [...] استدعاءً لطلبة العلم، واستنهاضاً لهِمَمِهم. فما هو إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى وفدت [...] طلبة العلم الشريف [...] وصاحب الترجمة هذا لا يعدله في محبة العلم والعلماء أحد [...] لا تأخذه في اللّه لومة لائم، يدور مع الحق حيثما دار، وإذا أريد شيء من دينه كان أبعد من الثريا، ولم يُنل منه المراد، أحيا كثيرا من السنن، وأمات كثيرا من البدع [...] وله مجلس بين الظهرين في مشور قصره يحضره العلماء والأماثل لسماع الحديث الشريف [...] قل أن يَسمع بكتاب من كتب الحديث والتفسير والسيرة و الآثار إلا وسعى في تحصيله [...] كان في أول أمره مع الفقهاء مكبا على صحيح البخاري [...] حتى ختمه معهم أكثر من عشر مرات، وحصّل سماعه، فزين له الفقهاء أن يقتني كتب الصحاح الست، فقام بجد واجتهاد، فبذل فيها أمواله، فتملكها كلها والحمد للّه، تملك نسخة من صحيح مسلم مضبوطة [...] ومعها شرح الشيخ النووي، فجاءت بذلك كأنها العذراء تميس [...] فلما ملكها شرع في قراءتها في أول المحرم الحرام فاتح سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف فختمت العام في أربعة أشهر" (المعسول، ج19 ص176).

العلماء الجرّاريون (1): مَحمد بن مهدي الجرَّاري
كان مولده سنة 902



واحات درعة: موطن ابن مهدي الجرَّاري

كانت لابن مهدي الجرّاري مدرسة بدرعة يشع نورها في جل بلدان إفريقيا، ما بين البحر المتوسط وأدغال السودان. قال البوزيدي: "يمكن أن نميز بين صنفين من الزوايا القصور بدرعة: الزاوية العلمية [والزاوية الصوفية، أما العلمية فهي] التي كان يغلب عليها الطابع العلمي، وقد كانت هذه الزوايا من إنشاء مجموعة من الفقهاء والعلماء [ومنها] زاوية سيدي مَحمد بن المهدي الجرّاري. أنشأ هذا الفقيه زاويته بالواد الميت في المنطقة السفلى من واحة ترناتة. وقد كانت لمحمد بن مهدي قابلية عجيبة في التدريس ورغبة ملحة في إفادة المتعلمين، لذلك لا غروَ إذا وجدنا أن زاوية سيدي مَحمد بن مهدي قد تحولت خلال القرن العاشر [...] إلى قبيلة يقصدها طلاب العلم من سوس وتافيلالت ودادس وبلاد الصحراء والسودان، بالإضافة إلى طلبة وادي درعة، وقد تخرج على يده جملة من العلماء الأفذاذ، ظلوا يلقون بإشعاعهم العلمي على واحات درعة خلال القرن العاشر [كانت الدراسة] تستمر بمسجد الزاوية من الفجر إلى صلاة العشاء الأخيرة، وقد كان الشيخ يلقي على طلبته دروسا عالية في الفقه والتفسير واللغة وغيرها، وقد أفنى الشيخ مَحمد بن مهدي عمره كله في تعلم العلم وتعليمه، ولزهده وإعراضه عن صِلات سلاطين عصره، وشيوخ القبائل المجاورة لزاويته، عمل على استصلاح بعض الأراضي الزراعية فحفر مجموعة من الآبار حول زاويته، وقد كان رواد الزاوية يشتغلون بالزراعة وخاصة زراعة الحناء التي اشتهرت بها هذه الزاوية" (التاريخ الإجتماعي لدرعة، ص301). وقال الحضيكي أنه: "من الفقهاء المحققين [برع] في الفنون فقهاً وحديثاً وأدباً ولغةً، مرجوعاً إليه في وقته [...] وردّ على الملوك جوائزهم واستدعوه لسكنى مراكش لولاية خطط الرياسة فأبى وامتنع" (طبقات الحضيكي، ج1ص262). ثم قال عنه تلميذه عبد الواحد الشريف: "كان آية في حسن الطوية، وسلامة الصدر، وحسن الخلق، والإنقباض عن الدنيا وزينتها، والزهد فيها، دعاه الملوك لدنياهم فما التفت إليها، وأعطوه صلات فلم يأن لها عناناً، مع فادح الضرورة. كساه الله هيبة عندهم، فلا أذلّ في نفسه من العمال، فلا يلقي لهم بالاً، ولا يرون منه اهتبالاً. أفنى عمره في العلم والتعليم، صبورا في ذلك، فانتفع به كل من قرأ عليه، لصلاح نيته، وسيرته في الإقراء [...] ولما أشرف على معترك المنايا، صرف أكثر عنايته لصالح الأعمال، فامتطى الليل جملاً، وبلغ في طاعة ربه أملا، فلا يزال لسانه رطبا بذكره تعالى، وقلبه منيباً، مع التزهيد في الدنيا ومعاناة شاق الأعمال، حتى توفي [رحمه الله]" (نيل الإبتهاج، ص596).

العلماء الجرّاريون (2): آل شعيب الجرّاريون
900 – 1200



المؤلف يرتدي اللباس الصحراوي الأصيل

عكف أولاد جرَّار على تعليم الناس دينهم منذ أَوَّلِ وصولهم إلى المغرب الأقصى، وما لبثوا أن وطؤوا الصحراء حتى شرعوا في تلقين لغة الإسلام لشعوبها، وقد انتشرت لهجتهم الحسَّانية من الصحراء الشرقية إلى حدود نهر السنغال. والحسَّانية تنسب إلى حسَّانَ تغليباً، لكنَّها في الأصل لهجة المعقل كافَّة. قال محمد الغربي: "ساهم [بنو معقل] في تعريب القبائل البربرية في منطقة الحوض، وإن النهضة العلمية [...] التي عرفتها تنبكتو [...] مدينةٌ بالفضل ولا شك لهؤلاء الأعراب" (بداية الحكم، ص45). ومن أشهر الأسر العلمية في تاريخ أولاد جرّار: آل أبي مدين شعيب الجرّاري، الذين اعتنوا بالحديث الشريف، وأتقنوه رواية ودراية. وقد أورد الكتاني أسانيد هذه الأسرة في فهرسته، فقال: "رأيت بخط شيخنا قاضي مكناس الشهاب أحمد بن الطالب ابن سودة النقل عنه مباشرة ولم يُسمّ مؤلفه، ثم وقفت على الفهرس المذكور فإذا هو للمُعَمّر البركة أبي محمد يحيى بن عبد اللّه بن مسعود ابن العالم الصالح أبي مدين شعيب بن مبارك البكري الجرّاري السوسي، وهو فهرس جامع في نحو الستة كراريس، عندي أوله: 'الحمد لله حمد الحامدين' ذكر في خطبته: 'وإنّ من منن اللّه تعالى علي، وأجل مواهبه لدي، أن يسر لي ملاقاة جماعة من الأعلام، وظفرني منهم بما عليه المدار من كتب الإسلام، بأسانيد عوالي، أنفس من اليواقيت الغوالي، وقد سألني من لا يسعني رده أن ألخص تلك الأسانيد بأبين جواب فأجبته إلى ما سأل.' صدّرها بذكر شيوخه الخمسة عشر الذين أجازوه إجازة عامة [...] افتتحها بأسانيد القرآن ورواياته والتجويد، راويا له عن والده عبد اللّه عن جده المعمر مائة وخمساً وثلاثين سنة مسعود بن شعيب الجرّاري المتوفي عام 1078 [...] ثم بأسانيد كتب التفسير، ثم بأسانيد كتب الصحاح وما ألحق بها [...] ثم بأسانيد كتب السير والمغازي، ثم كتب التوحيد وأصول الفقه والنحو واللغة والمنطق والبيان والأدب والعروض والفرائض والحساب والتوقيت والتعديل والطب والتاريخ والأنساب والهندسة والأوقاف والتفسير [وسنده] عن والده عبد اللّه المتوفى عام 1134 عن عمه أحمد البهلول بن شعيب المتوفي سنة 1108 عن 152 [...] وأخذه والده عبد اللّه عن جده مسعود بن شعيب" (فهرس الفهارس، ج1 ص717). وللإشارة، فإلى هذه الأسرة ينتمي العلامة عبد اللّه الجرّاري، حيث قال ابنه العباس: "إلى الفرع الشعيبي ننتمي مباشرة، أي فرع شعيب العلامة [...] المعروف بأبي نخيلة، والمدفون في دشر يسمى البوير على ما ذكر لي الوالد وقال إنه زاره" (العالم المجاهد، ص14).

العلماء الجرّاريون (3): عبد الرحمٰن بن أحمد الجرّاري
اشتهر قبل سنة 1286



أولاد جرّار نشروا هدى الإسلام في الصحراء الكبرى

هو العالم الجليل عبد الرحمٰن بن أحمد بن المدني الجرّاري؛ اشتهر رحمه الله بالعلم، والعمل، وحسن السريرة. قال عنه السوسي: "فأما الأستاذ عبد الرحمٰن بن أحمد [الجرّاري] فإنه فقيه جليل تخرج في أسغركيس كما ذكر لي المؤرخ ابن الحبيب الجرّاري. وقد نال مكانة علمية وسمعة حسنة من قبيلته، وقد اشتهر من قبل، وقد وقفت له على رسالة حسنة أرسلها إلى [الإدوزي] تدل على مكانته في التعبير [...] نصها: '[عليكم] أفضل السلام ما سجع الحمام، وهمم الغمام، وانفتحت عن الزهر الكمام. أما بعد، فالقصد من سيدنا ومولانا أن يسهم لي من دعواته الخاصة بالإخلاص، وأن يجعلني دائماً منها بين أهل ودّه الخاص، ثم ليعلم سيدنا أن القضية التي كنت تذاكرت فيها معه عارض فيها القائد معارضة شديدة، ولو لم يمض فيها قلمي لما عراني ندمي، لكن ما مضى فات وهيهات أن أستدركه هيهات، وأحب من سيدي أن يغيث أخاه فيها بما يؤيده، فإن لكلام سيدي عند القائد مكاناً لا يفنده، فأغثني يا سيدي أغاثك الله فقد غصصت بريقي وتصلبت عروقي [...] ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع. وعليكم أولا وآخرا السلام ورحمة الله' [...] ولا أعلم القضية التي وقع فيها ما وقع، والقائد المعني بذلك هو القائد محمد والد القائد عياد، وأخبرني المؤرخ الأستاذ ابن الحبيب أن سيدي عبد الرحمٰن هذا كان يتبرأ من الجرّاريين خوف أن يؤخذ بجرائرهم، وإن كان من صميمهم. وقد مررت إزاء [عين أولاد جرَّار] بجسر للماء ذكر لي أن الذي وقف عليه حتى بني هو [عبد الرحمٰن] هذا، ذلك كل ما عندي عنه [...] وأما المؤرخ الإيكراري فإنه قال فيه: 'ومنهم الفقيه العالم العلامة أبو زيد سيدي عبد الرحمٰن [الجرّاري] كان رحمه الله رجلاً فاضلاً ضحوكاً كريما [...] كان عندي مرة في مدرسة العين بعد أن كف [بصره] وسبقه للبيت طالب يقال له السيد إبراهيم بن شواف يدعي الشرف، فقلت لسيدي عبد الرحمٰن، ولم يعلم بكون السيد إبراهيم معنا في البيت، إن السيد إبراهيم بن شواف يدعي الشرف، فقال: 'كذب عدو الله، إنما هو حرطاني، كما رأيت في عقود أصولهم.' فتكلم السيد إبراهيم فقال: 'أهكذا تقول فينا؟' فقال سيدي عبد الرحمٰن: 'غدرتني يا فلان.' فاصفر وجهه رحمه الله، وكان رجلا ظريفا لا يخلى مجلسه من الحكايات. وأنشدني مرة: 'تغيرت البلدان واحلولك الليل * وشب ضرام الشر وانهمر السيل * وحان الرحيل من بلاد تأمرت * بها المفسدون واستمر بها الهول * فلا فتكة وتنسيك فتكة * ولا فتنة إلا ويدخلها العول'" (المعسول، ج14 ص94).

العلماء الجرّاريون (4): عمر الجرّاري السلفي
كانت عودته إلى المغرب سنة 1339



مراكش: المدينة التي درّس فيها الشيخ عمر الجرّاري

ابتداءً من القرن الرابع عشر، صار علماء أولاد جرّار روّاداً للمنهج السلفي في المغرب، واشتهر منهم الشيخ الفاضل عمر الجرّاري المراكشي رحمه الله، الذي سافر إلى مصر لطلب العلم سنة 1333. قال المختار السوسي أن المترجم "أخذ القرآن برواياته في بعض المدارس برأس الوادي [...] ثم دلف إلى مراكش فشاهد من الشيخ شعيب الدكالي المتخرج من الأزهر ما حفزه إلى الأزهر. فجاور هناك سنوات كثيرة، أحدّ فيها التفسير والحديث وبعض الفنون، وعُلِّم التجويد دراسة، وتوسع في القراءات [...] وفي سنة 1339، رجع إلى المغرب فمر بالشيخ شعيب بالرباط [...] فكتب له إلى بعض المراكشيين، فلاقته مراكش كما تلاقي كل وارد جديد. فكان وهو لا يزال محافظا على لبسته الشرقية عجبا عند الناس، فأقبلوا عليه إقبالا كثيرا، فتقدم إلى الدراسة، فأكب عليه الطلبة، فافتتح التفسير والحديث مناوبة بين العشاءين [...] فكان المسجد يكتظ بالناس [...] أستاذنا الجرّاري من خيرة الأساتذة أفكارا [...] يقبل ويرد وينصف، يقبل الحق من أهله، ويرد الباطل على قائله [...] كان صلبا في إرادته، لا يرتد عما يعرفه حقا، ولا يعرف الهوادة في الإشادة به [...] وكان يستحضر من الحديث والتفسير وبعض أقوال المذاهب، ويشارك في العلوم الأخرى، فلا يعرف في مذاكراته إلا قال الله وقال الرسول، شأن المحدثين الذين أشربوا في قلوبهم السنة [...] وله مؤلف أظنه في القبض في الصلاة شحنه بذلك. ويده في الروايات فيها من الطول ما ليس لها في العلوم الأخرى، ولذلك ملأ فهرسته بروايات القراءات. ودراسته بلهجة لا هي مصرية ولا مغربية بل مزيج بينهما. وقد تصدر في السنوات الأولى التي قدم فيها إلى مراكش للتدريس في زاوية الشيخ النظيفي [...] باستدعاء من هذا الشيخ" (المعسول، ج8 ص144). وقال أحمد متفكر عن تجربة الأستاذ الجرّاري بالمؤسسة المذكورة: "انتقل للزاوية النظيفية بطلب من الشيخ النظيفي، لكن الفقيه الجرّاري المتشبع بالروح السلفية، لم يرقه ما شاهده في الزاوية من تصرفات تسيء إلى الدين في نظره، فصدرت منه انتقادات وندد يوما على المنبر بتقديم الورد على الحزب الراتب بعد المغرب، فكان ذلك أحد الأسباب التي أخرج بها من الزاوية" (معلمة المغرب، ص2958). وقال السوسي عن توليه القضاء: "خوطب بولاية القضاء فأجاب هذه المرة بعد أن كان خوطب به قبل فاعتذر [...] فظهر منه هناك عفاف وعزوف وترفع عن أوساخ البراطيل" (المعسول، ج8 ص145)، وقد "توفي رحمه الله بمراكش عام [1364] تاركا فهرسة لا تزال مخطوطة" (معلمة المغرب، ص2958).

العلماء الجرّاريون (5): عبد اللّه الجرّاري السلفي
كان إبداعه للظهير البربري سنة 1348



عبد اللّه بن العباس الجرّاري رحمه اللّه

هذا العالم من أئمة السلفيين في زمانه! قال ابنه العباس: "من أبرز رجال المغرب الحديث علما ووطنية وتأليفا. عالي النفس، متواضع الطبع، واسع الإطلاع، ذو مشاركة في مختلف العلوم العربية والإسلامية. حاصل على عالمية القرويين ومجاز من طرف كبار علماء عصره. كانت له مشاركة فعالة في الحركة السلفية والوطنية خلال سنوات العشرين. أوذي في حادث الظهير البربري عام [1348] إذ كان خطيبه وسجينه ومبدع شعاره: 'اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير، ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر.' أول قارئ ومجود للقرآن الكريم بالإذاعة الوطنية، وأول محاضر بها. [وقد] استهل حياته العملية بالتدريس ثم أنشأ مدرسة حرة –المدرسة العباسية– قبل أن ينتقل للتعليم الرسمي. له ولوع متفرد بالكتابة [...] يربو على سبعين مؤلفا" (والدي، موقع عباس الجرّاري). وقال عنه جمال القديم: "اشتهرت الأسرة الجرّارية بنبوغ أبنائها في ميدان العلم والصلاح تدريسا وتأليفا وسلوكا مع الغيرة الدينية والوطنية الصادقة [...] ولم يكد يبلغ الثالثة من عمره حتى أدخله أبوه الكتاب القرآني، فحفظ القرآن الكريم [...] وبعد ذلك أقبل على الدروس العلمية وحضر مجالس عدد من الشيوخ أمثال محمد بن العياشي [...] وأبي شعيب الدكالي [...] وابتداء من سنة [1358] انخرط في سلك كتاب المخزن بالقصر الملكي، وكلف بتفتيش الكتاتيب القرآنية والتعليم الحر وتفتيش مدارس البنات في المغرب [...] عرف عبد اللّه الجرّاري بمواقفه الوطنية المشهودة ضد سلطات الحماية وبسببها تم إبعاده عن مهنة التفتيش سنة [1374] وعاد إليها بعد الإستقلال [...] وكان عضوا في رابطة العلماء واتحاد الكتاب وعضوا في المجلس العلمي" (أعلام القرن 15، مركز الدراسات والأبحاث). وأما عن مساندته للسلطان ومقاومته للإحتلال، فقد قال ابنه العباس: "[دعاه] محمد الخامس للعمل إلى جانبه، وكان اسمه يومئذ قد لمع على الصعيد العام [...] وعناية من الملك الراحل بميدان التربية والتعليم [...] أسس معهدا لأبنائه أصحاب السمو الأمراء والأميرات مع رفقاء ورفيقات من أبناء الشعب [وكلف] الوالد –بالاضافة إلى عمله الأساسي– بمهمة التفتيش فيه، وكذا القيام بدروس في قسم الأميرات، والمراجعة مع ولي العهد [الحسن الثاني] كذلك عانى أيام كان مفتش التعليم مرائر شديدة مع [الفرنسيين] نتيجة وقوفه الصارم في وجههم [...] ولم يكن يخفف من حدة هذه المعاناة المريرة إلا تهدئة [السلطان] فقد كان كثيرا ما يقول له: 'غير اصْبر ألفقيه، راه أنا تنقاسي امْعَهم الشْدايد'" (العالم المجاهد، ص41-56).

العلماء الجرّاريون (6): أحمد الجرّاري السلفي

توفي سنة 1374



السلفية عودة إلى القرآن والسنة

الشيخ الجليل أحمد الجرّاري هو أحد رواد المنهج السلفي الذين وجدوا صعوبة في تعليم الناس حقيقة التوحيد، ونهيهم عن التوسل بالأموات، والتبرك بكل مُرِيدٍ مَرِيد. وقد ذكره السوسي في كتابه خلال جزولة، فقال: "زرت اليوم الأستاذ الكبير المتطلع الحاج أحمد الجرّاري، أستاذ مدرسة تزنيت، فحررت عنه لكتاب المعسول ترجمته وترجمة والده وأخ له واستفدت منه الخير الكثير [...] وقد كنت أجالس في كل عشية هذا الأستاذ فيفيض علينا بأخبار الحجاز، ودارت مذاكرات في المجلس، منها التجاء المجرم إلى أضرحة المشائخ، كما ذكره التسولي، وأن ذلك لا يصونه. وقد سهرت معه عشية في هذه الليالي مع العلامة أحمد اعمو الناظر، والأستاذ ابن عثمان الإيكراري، أتلو عليهم رسالة الكرسيفي التي رد فيها على الفاسي فأعجبوا بها إلى الغاية، وهي رسالة فذة. والجرّاري درّاكة مطّلع، غريب في مطالعاته في الكتب السلفية القديمة التي طبعت حديثاً، فيتفوق بها في المباحثة، وكان وهّابياً جرِّيئاً في إعلان الحق كما يراه [...] فوجدت له في تزنيت ما وجدته مما لا يكون حوله لو كان يعرف كيف يأكل الكتف، وهو من أودائنا من قديم، وترجمته الواسعة توجد في المعسول إن شاء اللّه" (خلال جزولة، ج1 ص118). كلام السوسي عن المترجم، وعن سمعته السيئة في تزنيت، يعزى إلى وجود هذا العالم السلفي في بيئة صوفية محضة، ألا وهي بلاد سوس قبل مائة سنة. فالظاهر أن منهج الجرّاري لم يَرُق للمبتدعة وعبدة القبور، ومن أجل ذلك ساءت سمعته في المدينة. وقد تلقى المغاربة دعوة من هو أعلم من أحمد الجرّاري بنفس النفور، فلنذكر على سبيل المثال قصة الشيخ العلامة أبي شعيب الدكالي، الذي أصرَّ على القبض في الصلاة، فخالف بذلك كافة علماء المذهب، وتشبث بما لديه من أدلة على هذه السنة الثابتة، فامتُحِنَ بأنواع من الأذى، حتى أن السلطانَ نَفْسَهُ طلب منه العدول عن فتواه، تجنّباً للفتنة، وموافقةً للجمهور، فلم يرض بذلك رحمه اللّه؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ورجوعاً إلى كلام السوسي، يمكننا أن نلاحظ احترامه الفائق لأحمد الجرّاري، رغم مخالفته له في المنهج، بل يعلن في هذا النص أن الأستاذ أحمد صديقٌ له منذ زمان قديم، وأنه يُعِدُّ له ولذويه ترجمة في المعسول. وقد بحثنا عن هذه الترجمة في الكتاب المذكور فلم نجدها؛ ولعل المؤلِّف لم يُوَفَّق لإتمامها، أو ربما جعلها في موطن آخر غير العشرين جزء التي بين أيدينا، واللّه تعالى أعلم.

العلماء الجرّاريون (7): الطيب الأمرّويـي الجرّاري
هاجر إلى الحجاز قبل سنة 1340



تزنيت: حاضرة منطقة أولاد جرّار أزغار

ولد الشيخ الطيب الأمرّويي الجرّاري بأولاد جرّار نحو سنة 1295، ثم نشأ نشأة صوفية، لكنه اشتهر بأخلاق حميدة، وفقه لا بأس به، فيسّر الله له الهجرة إلى مكّة والمدينة، بعد ظهور الدعوة السلفية في الحجاز. وقد مكث رحمه الله في جزيرة العرب ولم يعد إلى المغرب، فالذي يغلب على الظن هو اعتناقه للمنهج السلفي بعد رحيله؛ لأن السعودية صارت كلها أرض توحيد آنذاك، لا تكاد تجد فيها مبتدعاً ولا مشركا. قال السوسي أن الطيب الجرّاري "فقيه حسن [...] قد طلق الدنيا وزخرفها ورأى يقيناً أن ما عند الله خير وأبقى، فطلّق كل دواعي الشهرة بعد ما أخذ بمناكبها، ثم طلق ثانياً أهله وماله وولده، فلحق بالحرمين؛ حيث يتنفس في متنفس المهاجرين والأنصار [...] جاعلاً هجرته لله ورسوله، لا لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها. وذلك كله من مثله وفي مثل مركزه وعصره غريب، وكل حال هذا الرجل عجيب. لم أقف على كثير من أخباره في منشئه، فلم أدر إلا أنه تلقى القرآن في قريته ثم التحق بالأستاذ محمد بن مسعود في بونعمان، فربض هناك مستفرغاً جهده، حيث صدر بحوصلة مملوءة وعقل حصيف وفهم حسن، وقد كان في كل معلوماته النحوية والفقهية وما إليها وسطاً، غير أن أخلاقه وحسن سمته ألقت عليه ملاءة مزدهرة [...] وقد لاحظه شيخه الإلغي ملاحظة خاصة، فقد أخبرني [البعض] أنه سمع الشيخ يقول لرسول إلى أزاغار: 'من مرّ منكم بإيغير ملولن فواجب عليه أن يمرّ بسيدي الطيب فيبلغه خبرنا ويبلغنا خبره، فإنه من الصادقين.' وكفى بها شهادة، لأن مثل ذلك من الشيخ قليل جداً، والمجدّون أمثاله لا ينثرون المدح يمنة ويسرة [...] وحدثني آخر أنه كان معه أياماً في سياحة صغيرة في أزاغار فكان يراه كثير التهجد، طويل التفكير ملازماً للإنزواء [...] ذلك هو سيدي الطيب المرّويي الذي أقلع عن حب هذا العالم فجمع ذيوله للحياة الأخرى، ورفع همته عن كل الناس فأصبح في نفسه ملكاً غير متوج. حرام على من وحّد الله وحده * وأفرده أن يجتدي أحداً فردا * فيا صاحبي قف بي مع الحق وقفة * أموت بها وجداً وأحيا بها وجدا * فقل لملوك الأرض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى [...] كان دائماً فيما سمعت يلهج بالحج ويتمنى لو يجد إليه سبيلا. وكثيراً ما يطلب من أهل الخير الدعاء على تيسر ذلك، ثم لما وصل الأجل وقد تيسر له ما يسافر به، اتكل على الله فشرّق، ثم أتيح أن يكون هناك من المرموسين رحمه الله" (المعسول، ج14 ص83).

العلماء الجرّاريون (8): محمد عبد الرحمٰن بن عياد الجرّاري
ولد سنة 1333



لباس المرأة الجرّارية الأصيلة

من أحسن الأدباء الجرّاريين موهبة وإبداعا: محمد عبد الرحمٰن ابن القائد عياد الجرّاري –وقد سمي بإسمين على عادة الصحراويين. قال السوسي: "للقائد عياد من الأولاد كثيرون، إلا أن الذين اعتنقوا العلوم قليلون [والبارز] منهم محمد عبد الرحمان، ولد [عام] 1333، والدته النزهة بنت البناني السباعي، وكانت لها يد في المعلومات [...] تخيرها القائد من الصحراويات التي يميل إلى جيلهن، توفيت [عام] 1341، ولم تترك من الأولاد إلا المذكور وحده، والوحيد مثله يقوم مقام العدد الكثير، ومثله في أدبه الزاخر وفي حيائه مما تفتخر به الأسر. أخذ القرآن عن الأستاذ محمد التيزنيتي، كان القائد شارطه لأولاده في الدار، فكان أستاذهم الخاص [...] ثم افتتح عند [الإيكراري] في مدرسة [عين أولاد جرَّار، ثم لازم] الغرمي، فعلى يده تمكّن، وقد انتفع بالشيخ سيديّا العلامة الصحراوي الشهير الذي كان هاجر من الصحراء إلى سوس [...] ثم أخذ في إفني، عن أستاذنا البوزاكارني هناك، السلم في المنطق وعلم الأدب، فقد تثقف به فيه، فهؤلاء الأساتذة الذين انتفع بهم فيما عنده من الفنون. وقد كان يعاشر الأديب محمد سالم بن عبد الفتاح لما كان في [عين أولاد جرَّار] ثلاث سنين [...] فأخذ عنه المعلقات السبع وبعض أراجيز العجاج وبمداخلته حذق الأدب أولاً، واستطاع أن يقول القوافي المستقيمة [...] وقال في حضرة أخيه [...]: 'هام الفؤاد بها وعن غيد الورى * تثنى بمنظر وجهها الفتان * دع ذَا فليس لذكرها من طائل * واسمع مديحة ناصح معوان * إن السلامة لا سبيل لدركها * وكذا الرضا أبداً من الإنسان * واجعل لنفسك عند غيرك دائماً * إن رمت حمداً أرجح الميزان * وارض الذي ترضى لنفسك لا تقل * ما لا تحب سماعه من ثان * فخر الكريم بفضله أولى به * من ذكر ما فازت به الأبوان * والزم رياض العلم واجن ثماره * وارحل له بمراكب الإتقان * والزم مدارسة الحديث واعطه * سمعاً سميعاً كامل الإمعان * أحرى البخاري المرتضى علم الهدى * تاج السيادة منبع العرفان' [...] وبعد الإستقلال التحق بمكتب رئيس البحوث والإرشادات أستاذنا سيدي عبد السلام الفاسي ككاتب، وله من الأولاد إلى الآن [...] تسعة بين ذكور وإناث من زوجات متعددة. ذلك هو أديب الجرّاريين حقاً، وأما من سواه هناك فإنما يتأدب على قدر وسعه. وهو الآن يسكن الرباط منكمشاً، لا يكاد يرى، وهو أولى أهله برفع رايتهم لو ساعدت الأقدار" (المعسول، ج19 ص209).

العلماء الجرّاريون (9): الحسين بن إبراهيم الجرّاري
درس مع المختار السوسي سنة 1331



حصون الجنوب المغربي

وَمِمَّن تألق واشتهر بأدبه في سوس: الحسين بن إبراهيم الجرّاري. قال المختار السوسي أنه: "من نجباء الطلبة الجرّاريين، ومن نوابغ البونعمانيين الذين ضربوا في الأدب بسهم، وقد كان يظهر بمظهر كبير لو أن الدهر عرف له قدراً ووطأ له كنفا. ولكن حرفة الأدب أبت إلا أن تلازم كل ذي أدب ملازمة الظل للأجسام تحت الشمس. لم أعرف الآن عنه كثيراً في منشئه، إلا أنني كنت معه في بونعمان عام 1331، وكان إذ ذاك من النجباء الجرّاريين البارزين بين الطلبة، فلم أدر هل أخذ عن أستاذ آخر غير أستاذنا إذ ذاك سيدي أحمد بن مسعود، والغالب أنه أخذ من غيره لأنه إذ ذاك تكون له سنوات في الأخذ، وشيخنا المذكور إنما دخل المدرسة البونعمانية عام 1330 [...] والنجابة التي رأيتها إذ ذاك في سيدي الحسين ليست بنت ثلاث سنوات فقط، بل بنت أكثر من ذلك [...] ثم عرفت بلا ريب أنه أخذ عن محمد بن مسعود، وبه تفوق، ثم جاور عند أخيه أحمد، ثم عرفت أيضاً أنه أخذ عن الأستاذ المؤرخ الإيكراري في مدرسة [عين أولاد جرَّار] عهدي بالمترجم في المدرسة البونعمانية وهو في الرعيل الأول من النجباء، وقد كان يدير دروس بعض الطبقات من الطلبة، وكان يلفت نظري إذ ذاك ولوعه بالأدبيات، كقريننا المرحوم سيدي أحمد بن محمد بن مسعود، وأذكر أننا ذهبنا معشر الطلبة مرة إلى الكرة، في ملعبها المشهور هناك [...] فكان وهو يفر ويكر في الحملة مدافعا ومهاجما ينشد الأبيات المشهورة في الشواهد: 'أنا الرجل الذي حدثت عنه * إذا الخفرات لم تستر براها * أكر على الكتيبة لا أبالي * أفيها كان موتي أم سواها.' وكنا يَوماً آخر نطالع درس المقامات على العادة المعروفة إذ ذاك بين الطلبة في تهيئ الدروس من الإجتماع بين العشاءين على مطالعتها والمذاكرة فيها، فجرت بينه وبين سيدي أحمد [...] مناقشة حول ضبطِ ألفاظٍ وفهم معانٍ [...] فكان الآخر يعارضه، ثم أدى بهما الحال إلى أن أفلتت من سيدي أحمد –على حلمه– كلمة في حق [سيدي الحسين] فاستحيا هذا أن يجيبه بمثلها لمكانه من أساتذته فأنشد متأففا البيت المشهور: 'إنِ الناس غطوني تغطيت عنهم * وإن بحثوا عني ففيهم مباحثُ' [...] وكذلك كان سيدي الحسين هذا إبان أخذه، فلا غرو أن يخرج فهماً جيد التحصيل، ومن السُّبَّقِ في حلبته [...] وفي حوالي 1344 كنت في أزيار بإداوتنان فتلاقينا هناك [...] فأعجبني منه استحضاره في الفنون التي أخذها" (المعسول، ج14 ص102).

الرُّحَّل الجرّاريون (1): عبد اللّه بن الحسين الجرّاري
بدأ رحلته سنة 1312



واحات الجنوب المغربي

أما هذا الجرّاري، فكان رحّالة عصره، حيث سافر إلى كل بقاع العالم، من أوربا إلى سنغافورة، ولم يدع بلداً إلا وطلب فيه علما. وقد ورث حب الترحال والطلب عن أبيه الحسين، الذي طاف بدوره صحاري إفريقيا، وبلاد المشرق. فلنقدم الكلام عن الأب، قبل أن نعرض رحلة الإبن –رحمة اللّه عليهما. قال المختار السوسي: "الحسين بن محمد هو [والد الرحالة] ولد نحو 1240 في قرية 'أيت الطالب يحيا' من قرى الجرّاريين. أتقن حفظ القرآن [...] ثم حصّل الفنون [...] ثم أصحر بعد استتمامه، فنزل في الحوض وراء شنقيط، فتزوج هناك، فولد له [...] وقد كان يفد على السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن [...] ثم إنه بدا له فشرّق، فنزل في مكة مجاورا عامين، وكان صالحا مؤلفا، له رحلة مخطوطة [...] وقد ساقته تربته إلى 'اداكايلال'، ولوجود ضيعة له هناك راجع سكنى ذلك المحل مع قرينته وولده، وهذا المحل قريب من 'تارودانت' وهناك توفي نحو 1307" (المعسول، ج18 ص109). ثم قال عن الإبن: "كانت ولادته في مكة المشرفة [سنة 1295] وأمه الغالية بنت إبراهيم السباعية، كانت عالمة صالحة متفننة حافظة، تخرجت بوالدها في الحوض بالصحراء [...] وكان لها باع في العربية والفقه والفرائض [...] وعنها تلقى ولدها هذا القرآن أولا، ثم انتقل إلى مدرسة سيدي بومازكيدا [...] فجود هناك القرآن، وأخذ حرف قالون والمكي والبصري [...] وفي سنة 1312 سافر إلى الحجاز، فلازم الأمير عونا الشريف، كما أخذ عن الشيخ صالح رمال، وعن الشيخ صالح جمال الليل –لازمهما سنة. ثم جاور في الأزهر [...] ثم إلى تونس فأخذ في الزيتونة –فبقي هناك ثماني سنوات. وفي 1330، قصد المغرب آئبا [ثم] أبحر من طنجة في باخرة إيطالية فنزل في الإسكندرية، فزار طانطا [...] ثم القاهرة، فالحرمين، فبيروت، فالعراق، فالأفغان، فنزل في قندهار، فبومباي، فكلكتة، فنزل على الشيخ محمود سليم الخونجي. كما نزل في بومباي على العالم الشيخ مصطفى زين الدين الشافعي، فمرسى سنغافورة [...] ثم انتقل إلى بيروت، فمر بإصطانبول [...] فإذا به تحت مراقبة الحكومة –فاليونان، فنزل في مرسى خانية، وفيها مساجد والقراءة الإسلامية، ثم إلى مرسى أزمير، ثم إلى مالطة حيث مكث شهرا. قال إن أهلها لا يزال منهم من يحسنون اللغة العربية، ومن هناك توجه إلى شمال إفريقية" (المعسول، ج18 ص109). وقال العباس الجرّاري: "الأديب الرحالة عبد اللّه الجرّاري المولود بمكة [...] أقام في مصر وتونس التي نشر بها بعض الكتب" (العالم المجاهد، ص16).

الرُّحَّل الجرّاريون (2): أحمد بن السائح الجرّاري
توفي سنة 1370



القيلولة ضرورة في الصحراء

سبحان الذي يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي. من كان يصدق أن ابن السائح، قاطع الطريق المشهور، سيقلع عن نهب القوافل بين يوم وليلة، ويتوب إلى العزيز الغفور؟ إسمه الكامل: أحمد بن مسعود –الملقب بالسائح– بن أحمد بن بلقسام الجرّاري. قال السوسي أن "قريتهم في الجرّاريين تسمى إدنكايضا، وإنما سمي جدهم بالسائح لأنه ساح كثيرا في الكرة الأرضية" (المعسول، ج14 ص97)، ثم روى أنه: "كان أولاً لصّاً جرِّيئاً فاتكاً، يجول في هشتوكة وفي هوارة وفي جبال جزولة إلى أملن، فيخوض كل سوس سهلا وجبلا باللصوصية حتى اشتهر، وطالما اعتقل ليقتل فانطلق، وحين لاقى الشيخ [الإلغي في عين أولاد جرّار ودرس عنده] قال: 'وسوس الشيطان أن أفعلَ الآن كل ما شئتُ لأن عندي شيخاً يحمل عني الذنوب، فأقبلت إقبالا كلياً على حرفتي، حتى في ليلة بات في قريتنا الفقراء المتجردون، فتركتهم حتى أمعنوا في الذكر، فتسللت فسرقت جمل أحد الفقراء الحاضرين في الذكر. ثم أوعز الشيخ إلى سيدي سعيد التناني أن يمر به، وأن يصحبه معه إليه، فأتى به إليه فألزمه أن يكون بين الفقراء المتجرّدين، ولم يلبث أن فنى في اللّه، فكان يقول بعد للمتجردين: 'لا أحسبكم جميعاً إلا عفاريت حبسها الشيخ هنا لئلا يُضَرَّ بالناس.' وقد بات الشيخ في قرية فأتى إليه أحد أهلها فقال له: 'إن كان [...] ابن السائح تائباً حق التوبة، فليؤدّ لي ثمن بقرتي التي كان سرقها.' فاستدعاه الشيخ فذكر له ذلك، فقال له: 'إن كان لا بد من الأداء، فكيف أؤدي كذا وكذا،' فيعدّ له عشرات مما سرق فتعجب الشيخ، فقال له: 'هذا كله ما فعلته إلا بعد [لقائك] ودع ما فعلته قبل.' فقال له الشيخ: 'قم واطلب ربك أن يؤدي عنك.' ثم انقطع إلى بلده بإذن الشيخ، فتزوج ثم صار بعد مؤذناً في دار القائد عياد، وكان من المفتوح عليهم [...] وسبحان من يبدل حالا إلى حال" (منية المتطلعين، ص100). وقال المختار السوسي عن حاله في آخر عمره: "فتلقانا الرجل الصالح سيدي احمد بن السائح من أصحاب والدنا المرتوين منه، وهو شيخ مسن يتعهد أولاد القائد بالتعليم، ويؤذن نهارا ثم يروح إلى داره، ثم يأتي صباحاً وهكذا دواليك منذ نحو عشرين سنة أو أكثر، وقد كان في شبيبته لصاً مخيفاً يذكر، قبل أن يتوب على يد الوالد، ثم استحال إلى ما نراه عليه، فإن لم يكن الإكسير هو هذا، فلا إكسير في الوجود. لص مخيف لا يبقي على أحد، فإذا به بين عشية وضحاها تقي نقي زاهد في كل شيء، ممن يمشون على الأرض هونا" (خلال جزولة، ج1 ص107).

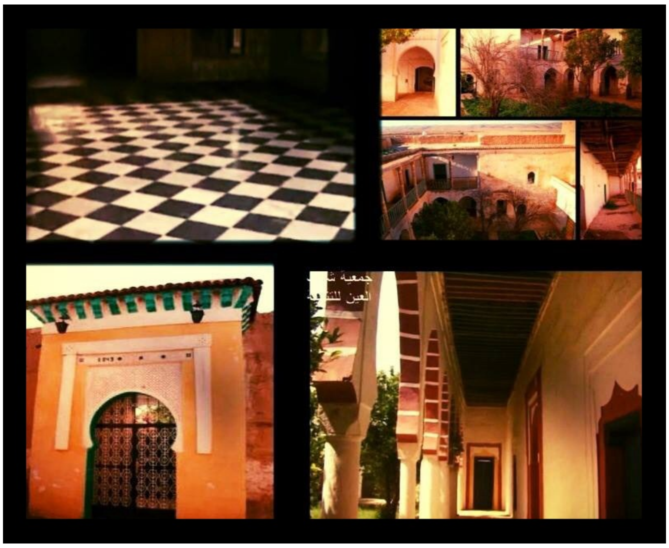
آثار أولاد جرّار (1): السور المنيع
بني سنة 1319



تعدّد البروج والأسوار بقصبة أولاد جرّار

من المآثر العظيمة بعين أولاد جرّار: سور القلعة المنيع، الذي يعتبر آية في الإتقان، والجمال، والمتانة. قال محمد بن أحمد الإكراري رحمه الله: "إن بناء سور العين ابتُدِئَ في الأشهر الأولى من عام تسعة عشر عاما وثلاثمائة وألف 1319، أول ما نزل القائد محمد أنفلوس بتزنت [...] ودام الشغل ثلاثة عشر شهرا، بنته القبيلة جميعا: 25 خدام لكل خُمس، أهل العين، آل ركادة ولُبّير وسنطيل وغْبولة، آل إدغ، آل إغْرْمْ، آل الذراع الأبيض. وسبب ذلك أن القائد سعيدا الجلولي نزل في تزنت في جمادى الأولى عام خمسة عشر عاما وثلاثمائة وألف 1315، فأخذ الناس من وادي سوس إلى واد نول بالغرم الشديد، والمؤن التي لا حد لها، وذلك بعد أن نزل بأبي الضفادع بهشتوكة في شوال عام 1313، فاعترض له على وادي ماسة سيدي محمد بن الحسين بن هاشم الإليغي الزروالي من آل المعدر ورسموكة وماسة وأكْلُ والساحل، فهزمهم هزيمة شنيعة بمعونة آل تزنت وبعقيلة وأولاد جرّار والقائد دحمان ابن بيروك، والقائد علي السموري والقائد علي الخزار العبلاوي والقائد محمد بن إبراهيم بن سعيد البُبكري والقائد بوهِيَ الأخصاصي، كل قبيلة جاءتهم من جهتها، فانفض جمعهم، ففرض عليهم الجلولي عشرة آلاف ريال لكل قبيلة، فاستمر عليهم الوظيف إلى انتصاف عام 1318، فكتب السلطان مولاي عبد العزيز للجلولي أن يرجع إلى بلده حاحة لشكاية آل سوس، ثم إن الشيخ أحمد كُمزَّر قدمه بعقيلة لحتفه، فنزل بحرْكة بُدرارة لأزغار يستأصل من فيه رائحة المخزن، فنزل في إدغ في بشر كثير، فذبح القائد عبد السلام في المجمع، فلم يقنع ذلك قبيلة أولاد جرّار، فقاموا بُكرة يومٍ للملعب [وهو ساحة فسيحة للفروسية] فوجدوا الخليفة عياد [الجرّاري] على أهبة وعُدّة، فدمرهم تدميرا شافيا، والقائد عبد السلام [الجرّاري] في أتبّن بين القبائل، حصروا تزنت من كل جهة، مقدار شهر أو شهرين، لا يدخل أحد ولا يخرج، ثم إن بعقيلة بمال خمسمائة ريال عصّبوا له وكانوا معه، ففتّ في ساعد أولاد جرّار، والناس في حَيْصَ بَيْصْ، إذ نزل القائد محمد النفلوسي الحاحي مع حركة المخزن، فنزل خارج تزنت في أول ذي الحجة عام 1318، فهربت بُدرارة للجبل، فسقط في يد رؤوس الفتنة من قبيلة أولاد جرّار. فلما استقر النفلوسي بمجاطة، بدأ القائد عبد السلام والخليفة القائد عياد سور العين، هذا ملخص الأخبار" (روضة الأفنان، ص61-64).

آثار أولاد جرّار (2): الدور الجميلة
بني بعضها سنة 1331



بعض القصور الجرّارية داخل القصبة

قصبة العين حافلة بالمباني الأثرية والقصور الجميلة، وعمارتها مرتكزة على فن مغربي أصيل، لكن هذه الأبنية تعاني من آفات الدهر، ولسان حالها يشكو الهشاشة والإنهيار. فنسأل اللّه تعالى أن يبعث من ينقذ هذا التراث البديع، قبل أن يندثر ويصير تاريخا مفقودا. قال السكراتي رحمه اللّه عن حال قصبة العين في ذلك العهد الجميل: "وأما الدور العالية، والبروج السامية، والمنازه والقصور والقباب، إلى ما في وسطها من الحمامات، فشيء عجيب. ومنها الرياض الكبير الشهير، الحائط بعينها التي بوسط القصبة تفور، وما جلب إليه من الرخام والزليج، وأنواع الحجارات المنحوتة، مع إتقان الصنعة من التخريم والتزويق، وتشابك الشراجم، والأبواب الهائلة المصبوغة، فشيء يشتت للناظرين نظرهم، ويحير للمتفكرين أفكارهم، تلقاك بوجه بسام أيها الزائر بمحياها البهيج، ونسيمها الطيب الأريج، أغصان الأشجار، وعناقيد الفخار، وروائح الأزهار، مع مشهد إذا دخلت الباب، واستحرمت بتلك القباب، دكاكين عالية، ومماش متساوية، توصلك إلى قباب قيصرية، وتذكرك الأقطار المغربية، كالجزائر وتونس وإفريقية، إلى فرش مرفوعة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، وتغاريد القمارى بالألحان المطربة، وجداول الماء والألوان الطيبة، إلى قباب ثلاث يجمعها باب واحد في غاية الإتقان والإبداع، ونهاية الإرتفاع. إذا حللتهن خيل إليك أنك بين بساتين متعددة، فتصير بين حيرة في الإقبال والإدبار، قبل أن تستأنس بك الدار، بسبب تقابل المِرءيات، وتسمى بقباب المرايا. وإذا خرجت منهن فالعين إلى ميسرتك تناديك، فقد حلت سلمى بواديك، فقف على عنصرها ماء صافيا، واعتبر قوله تعالى: {وأنزلنا من السماء ماء فأسكناه في الأرض} إلى قبلة رأس العين جملة قباب واسعة، أدخل فما عليك من عتاب. إن الملوك إذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان * إن البناء إذا تعاظم شأنه * أضحى يدل على عظيم الشان. ومنها الرياض الخارج عن الدار، المسند عن صدر القصبة الجنوبي، فمنظره يدهش العقول والألباب، إذا دخلت الباب، إلى حسن منظر أنيق، وفخر عجيب عتيق، فسيح المنظر، بهيج المَبصَر، محيطة به الجداول على هندسة رائقة، وأعلاه منتزه عال جدا مطل على البلد، على غاية الإتقان، فإذا نزلت منه وخرجت إلى جهة الغرب، تعرض لك بستان عظيم، أشجاره ملتفة وأزهاره مختلفة، لا يكاد السائر المجد أن يأتي عن آخره في ساعة" (المعسول، ج19 ص182).

آثار أولاد جرّار (3): الصهريج البهيج
بني سنة 1349



صهريج أولاد جرّار بالركادة: أول موطن للجرّاريين بأزغار

ومن أعجب مآثر أولاد جرّار: صهريج العين الرائع الذي، لو اعْتُنِيَ به، لاستطاع أن يُضَاهِيَ توأمَه بمراكش، ولانتفعت البلاد من مردوده السياحي. فليس في المغرب مثيل للمنارة بمراكش، ما عدا هذا الصهريج بأولاد جرّار –الذي يفوق المنارة مساحةً. قال علي بن الحبيب السكراتي أن من آثار القائد عياد: "الصهريج الجديد العظيم الذي يضرب به المثل، اخترعه على قرب من [قصبته] له فيه هندسة رائقة، وفراسة فائقة، بحيث أن محل الصهريج كان ربوة، ولا يتصور عند كل عاقل إنشاؤه هناك، وعنصر العين كان في حضيض من الأرض، وفي واد منخفض جدا عن محل الصهريج، فأعمل فيه رأيه المصيب، حتى صار اليوم من عجائب الدنيا، بحيث أن نفس الصهريج اليوم بمنزلة رأس العين، جعل مخزنا للماء في أزمنة الحرارة. وقديما كثيرا ما تهلك القبيلة ببلدنا في زمن الحرارة، لقربها من الصحراء. اعتمد فيه على هذه النية، وبنى عليه سورا مشرفا، بحيث يحسبه الناظر إليه قصبة مستقلة ومدينة محكمة، وما هو إلا هو. فقد ذرعته فوجدت في إحدى جوانبه مائة خطوة، ومثلها في كل جانب من جوانبه الأربع، ولم أر مثل شكله إلا ما كان من رياض المنارة بمراكش –حرسه الله– خارج الباب الجديد. وبنى عليه صقالة عالية، مشرفة عليه وعلى تلك الحدائق المجاورة له هناك، معدّة للتنزه والفرجة، منتزها عجيبا، ومنظرا قريبا. وإذا هبت الرياح على ماء الصهريج، تدفق ماؤه العذب الصافي تدفق ماء البحر بأمواجه، فترى الحيتان بحشوه، فربما طلعت إلى سطح الماء وربما رسبت تنسرب فيه أسرابا أسرابا. ويتمنى الناظر لو ساعده الوقت ليطول مقامه بذلك المكان الفسيح [...] وقد جلب لحافته من أنواع الغرس شيئا متنوعا كثيرا، يسقى من ماء الصهريج بآلة حديدية، أظلت تلك الأشجار على مماشيه يمينا وشمالا" (المعسول، ج19 ص183). وقال عنه الإكراري: "وقد جلب إليه الحوت، بحيلة ليس بها يموت، ونقل إليه غريب الأشجار، من بعيد الأسفار [ثم أنشد] أيا من يريد نزهة الروح فانظرن * لصهريج أسسته فطنة ماجدِ * فسيحُ مُرَبّعُ الزوايا كأنه اخـ*ـتراع أرسطو في مشيد المعاهدِ * بهيج مرونق المناظر ماؤه * يُذكِّر سيب النيل وقت المزايدِ * فَلِلَّهِ فِكرُ أبْدَع الروض فوقه * وهندس ما يروي خميل العناقدِ * فما شئت من تغريد أطيار أيكها * وما شئت من خرير ماء المرافدِ * ففخراً بني جرّارة اليوم إنكم * على صهوة الأفراح يوم الموائدِ" (روضة الأفنان، ص332,84).

آثار أولاد جرّار (4): البساتين الجميلة
اخضرّت مع اكتشاف العين سنة 1130



جنان عين أولاد جرّار

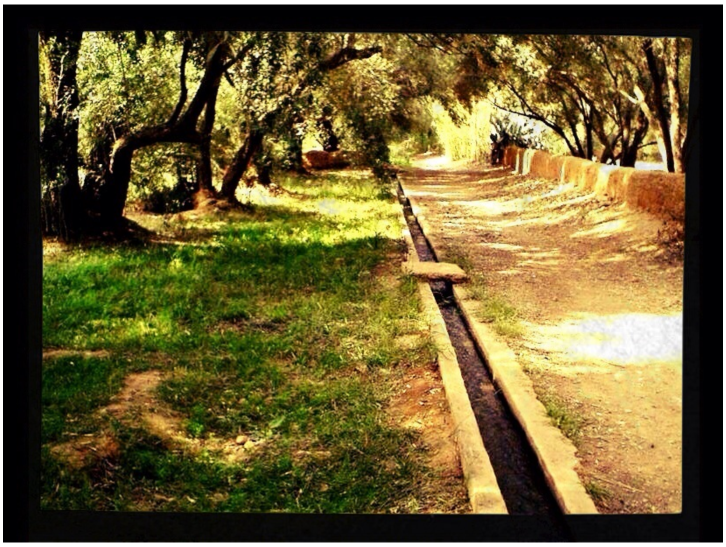
ومن مآثر أولاد جرّار: جنانهم الخضراء البهيجة، التي تَخْلُبُ الأبصار بجمالها، وتملأ الأنفس بعبيرها. فواحتنا آية من آيات اللّه، يتجلى فيها اسمه المحيي المميت، حيث كانت هذه الأرض خضراء قبل 6000 سنة، ثم صارت قفاراً جرداء، ثم أحياها سبحانه وتعالى لما يسّر لبني جرّار اكتشاف العيون والآبار. وتجدر الإشارة هنا إلى خطر حادق يهدد المنطقة بأكملها، ويوشك أن يَمْحُوَ خضرة واحاتها، ألا وهو مقالع الحجارة بالجبال المطلة على العيون، والتي – بالإضافة إلى تلوثها الضوضائي– تتسبب تفجيراتها المستمرة في إحداث شقوق جيولوجية بطبقات الأرض الباطنية، وَيُتَوَقَّعُ أن تؤدي هذه الشقوق إلى غَوْر العين واختفائها تماماً، ما لم نتداركها. وقد ظهرت مؤخَّراً ملامحُ هذه الكارثة البيئية، وَاسْوَدَّ لون المياه، فاللّه اللّه في نجدة هذا البئر المبارك، ونسأله تعالى –بكل إسم هو له– أن يوقظ ضمائر الحكام، لإيقاف الشركات المتسلطة على تراب القبيلة. والآن هاكمُ وصفَ الجنان، بقلم الإكراري، الأديب المتمكن الفنان: "وقد أسدلت عليها أفنانها وأوراقها، إلى زيت لا نظير له في الآفاق، وخضر تحمل منها على اتساق، وأعناب مطويات بالأشجار، وموز علا على الأسوار، ولوز يناغي شجر البان، وأنوار في عديد ألوان، وجوز قال للنخل إخسَا، ورفع عليها رأسَا، وريحان ينافح الحِنَّا، وورد أطياره تتغنى، وتين يرضيك عن العجوة، ويسليك عن القهوة، ورمان تشتهيه الأنفس باتفاق، وتوقر منه الرفاق، إلى نعنع شهي، وتفاح بهي. أما المشمش والكمثري، فالبركات فيها نترا، في القديم وَهَلُمّ جَرّا [...] بمنازل الأخيار، الموسومين بأولاد جرّار، الذين لا يُضام لهم جار، ولا يُهدَر لهم ذمار، ولا يَلحقهم العار [...] فالعين على كل حال واسطة العقد المتغال [...] كوكبها يقظان، وَجَوّها عريان، نسيمها معطر، وترابها أذفر، ويومها غداة وليلها سَحَر، وطعامها هني، وشرابها مَري، لا كبعض البلاد الوسخة السماء، الوَمِدة الماء والهواء، جوها غبار، وأرضها شِرَار، أهلها ذئاب، وكلامهم سباب، وسائلهم محروم، ومالهم مكتوم، لا يجوز إنفاقه، ولا يُحَل خناقه، فتبّا لأهل تلك البلاد، وحنانا للعين ومن فيها من أهل التلاد والنجاد [...] بلدة أمن وإيمان، وشهامة وإيقان، لا يأتي ساكنها هوان، ولا يطمع فيه زيد ولا عمران، فهي أمنع من الخورنق، وأحصن من الأبلق، ببلق خيلها والأزرق، وكماة عرب ليس فيهم أحمق ولا أخرق، من شك فالأعراب بالباب، ومنهم يؤخذ الصواب في الجواب" (روضة الأفنان، ص333).

كرم أولاد جرّار (1): ضيافة السلطان
زيارة مولاي يوسف بن الحسن سنة 1346



في سنة 1346، قام مولاي السلطان يوسف بن الحسن –طيب الله ثراه– بزيارة عين أولاد جرَّار، وقد سعد الجرّاريون برؤية أمير المؤمنين سعادة غامرة، واستقبلوه بحفاوة عظيمة، وصفها الأديب السكراتي رحمه الله، فقال: "لما شاع وذاع عند الناس أن جلالة السلطان سيدنا ومولانا يوسف بن الحسن أعزه الله ونصره سيشرف هذه النواحي بطلعته الميمونة، صار الناس يرتقبون بزوغ شمس محياه البهيج، ويستنشقون من طيب رياه الأريج، اهتزت الأشباح إلى رؤيته، والأرواح إلى شوقه ومسرته، لأنه طال عهدهم باكتحال أعينهم برؤية سلاطينهم، متيمنين بطلعة ملكهم المنصور، الذي فاقت أيامه أيام المنصور. فلما حان حينه اصطف الناس على حافتي الطريق خيلا ورجالا، ونساء وصبيانا، فأقبل أعزه الله على سيارته الميمونة، ومعه رجال الدولة وحاشيته في أربع عشرة سيارة، في شارة عجيبة، وصفة غريبة، فكلما مر على قرية من القرى، أو مصر من الأمصار، تلقته رجالها، وأشرافها ونساؤها وصبيانها، وتسمع لدعائهم وابتهالهم لله طالبين لجلالة سلطانهم النصر والحسنى، وزيادة طول البقاء ما يدل على طاعة عبيده ورعيته خاضعين له تحت لوائه، فلما قارب لواؤه السعيد، وأشرف علينا ركابه السديد، أخذ الناس في الإستعداد والإستقبال، للسلام عليه والترحيب واستلام جنابه الشريف [...] واقفين بصفوفهم على السبيل ميمنة وميسرة، في هيئة حسنة، ومنهم من يلعب بالخيل والبارود [...] وعند باب القصبة ترجل [القائد عياد الجرّاري] ومشى بين يدي سلطانه إلى قصره الميمون، فتلقته عند الباب الأشراف والعلماء والطلبة والنساء والصبيان بالحليب والبيض والرياحين وأنواع الأزهار وأزياف الحرير تروح عليه من بعد على عادة أهل القرى السوسية. فلما استقر به المحل، وطاب به المجلس، قدّم [القائد عياد] لسلطانه ورجاله وأهل ركابه، من الوزراء والحجاب وأكابر الدولة، ما كان أعده لهم من مفاخر الأطعمة، وأنواع الأشربة، مما يناسب حضرة الملك العلام، وما يناسب الحضرة ومن حل بها من الضيوف الكرام، فلما فرغوا من المأكل والمشرب [...] قام السلطان بنفسه وعلق [للقائد عياد] وساما بيده المباركة، فاهتز لذلك [القائد] وخرّ لسلطانه جالسا خاضعا، وقال له: 'يا سيدي، أنا مربى نعمتك، وخديم طلعتك ومنتك، فلا أطلب من سيدي إلا الدعاء لي ولأولادي بخير وصلاح'، فدعا له السلطان المذكور بالخير والصلاح والبركة. وعند الساعة الخامسة من يومه ركب سيارته هو ومن معه، فرجع عوده على بدئه لتيزنيت فغادر المحل وهو عليه يبكي" (المعسول، ج19 ص180).

كرم أولاد جرّار (2): ضيافة العالم
زيارة العلامة المختار السوسي سنة 1361



الحقول خارج عين أولاد جرّار

قام السوسي بزيارة ممتعة لعين أولاد جرّار، وهي معقل القبيلة وعاصمة قراها بصحراء أزغار، فقال رحمه الله: "بكّرنا نحو [العين] مع البازي ولا يزال علينا سواد الليل مخافة الحرارة [...] فوجدنا النجيب سيدي احمد [الرفاكي] خارج زياتين [العين] ينتظرنا في قرية هناك، فجرى إلينا لأننا لم نره، فكدنا نفوته، فدخلنا تحت الزياتين الملتفة [...] ثم تبدّى لنا باب [عين أولاد جرّار] بعد ما مشينا بين بساتين، فرأينا [مائها] جارياً أمام الباب، ثم دخلنا فوجدنا الحرس جالسين [...] ثم نزلنا أمام باب دار مقصودنا [ثم دخلنا] فرأينا قصائد متعددة [حديثة] لأدباء [مغاربة] مما يدل على أن الأدب الجرّاري يتتبع الحركة الأدبية في كامل المغرب، ويقتنص منتوجاته بكل لهف [ثم] دخل رئيس الجرّاريين [...] فطويت الصحف، ومدّت الموائد، فقدّم الغذاء[...] ثم تم التعارف بيننا وبين الخليفة فإذا به من أفاضل الناس أدباً ومخالقة [...] ثم لما أتممنا الغذاء، وصلينا الظهر [دخل] بنا الخليفة بستاناً لهم شقَّه جدولُ العين متدفقاً، بل هو جعفر لا جدول. فخضنا في حقول ومزارع تحت ظلال وريفة [...] ثم خرجنا منه إلى الرياض، وهو كبير جداً يقل مثله اتساعاً في الحواضر [...] فرأينا اليوم ما كنا نسمع به دائماً، والمكان حقاً من الرياضيات القليلة النظير [وقبابه] منبثة، وفي شماليه قبة خضراء عظيمة مزلجة واسعة الأركان، أمامها بهو داخلي والكل مزلج بزليج نفيس، ومفروش بفراش فاخر كأحسن أثاث الحضر [...] وقد تناولنا هنالك حلويات مع كأس دهاق من الأتاي [...] ثم ركبنا السيارة [فوصلنا] الركادة حيث المنزه الذي ذهب بنا إليه مضيفنا الكريم، فضلاً منه واحتفاءً واحتفالاً وأداءً لحق الضيافة، فوجدنا سواد الزيتون طويلاً عريضا، وعلى رأسه [...] منبع عين الركادية الشهيرة [ثم] أُحيطَ الكاتب بنخبة من العلماء الجرّاريين وقد أعدهم المضيف لإكرامي، وقد عرف أنه لا يناسب الأديب إلا الأدباء، وشبه الشيء منجدب إليه. ثم أخذ الخليفة إثر صلاة العشاء بيد الأستاذ ابن الحبيب قائلاً له مداعبةً: 'إن حديثك الشهي ينسي الأضياف شهي النوم المريح، فدعهم يستريحوا' [...] ثم أصبحنا بنعمة شاملة نتجاذب أنا والأستاذ ابن الحبيب مباحث وفكاهات لأن له في الفكاهة آيات، وبعد الإفطار قلت: 'إنني محتاج إلى رياضة على رجلي.' وقد أحسست بما تعشيت به ثقيلاً علي، فقال الخليفة: 'كم يكفيك؟' فقلت: 'نحو خمس كيلومترات بين الذهاب والإياب.' فقال: 'أنا لك بذلك.' وكان لا يزال شاباً جلداً

كرم أولاد جرّار (3): ضيافة العالم
إثناء العلامة المختار السوسي على كرمهم



محمد المختار السوسي رحمه اللّه

[...] في الرابعة والأربعين [...] ثم إننا سرنا نقطع تلك الحقول إلى أن ابتعدنا كثيراً، فرجعنا في طريق آخر، وقد أنشد الخليفة إذ ذاك لمناسبة: 'فسيروا على سيري فإني ضعيفكم * وراحلتي بين الرواحل ظالع' [...] ثم بعد صلاة العصر خرجنا، وقد ودعنا [عين أولاد جرّار] منشدين بلسان الحال، وقد خفنا أن يحملنا كرمهم العظيم الذي هو فوق مقامنا الواطئ بكثرة حتى لا نعود، عملاً بقول المعري: 'لو اختصرتم من الإحسان زرتكم * والعذب يهجر للإفراط في الخصر.' وقد واللّه أخجلنا من هؤلاء ما نراه منهم من التواضع، حتى أنهم يخدموننا بأيديهم، كأنهم عبيد، ويقدمون الأطعمة الكثيرة المتنوعة مع مراعاتهم للأدب في الحديث وفي الجلوس وفي كل شيء، مع انبساط وانشراح وطرح الحشمة وعدم التصنع، فقد واللّه أنجب الجرّاريون ما تقر به العيون، فشباب كهؤلاء منحاشون إلى التواضع مع الغنى وبسطة اليد من النعم العظمى. نعم الإلاه على العباد كثيرة * وأجلهن نجابة الأولاد. فأين من هذا الشباب الجامع لكل هذه الأوصاف –وما شهدنا إلا بما علمنا مشيدين للحق لا مرققين عن الصبوح– بعض شباب مترفين، نشأوا نشأة مشنوءة، فأول ما يستنكرونه الأخلاق الدينية والعبادات المفروضة، وأهل العلم وأهل الدين، وأول ما يستعظمونه الأخلاق السافلة مما تجيش به حضارة اليوم من حمأة هذه المدنية الغربية الكافرة الفاجرة، فلا حياء ولا أدب ولا أخلاق، {وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم اللّه أنى يؤفكون}، هداهم اللّه ووفقهم لدينهم ولوطنهم ولرفع شأن شعبهم الأبي. خرج معنا المضيفون ويدهم في أيدينا، نتناجى بما نتناجى به من نصح ثمين بيننا، حتى قطعنا كثيرا، ووصلنا إلى قرية خارج [عين أولاد جرَّار] فهناك توادعت معهم، ثم ركبت، بل أبوا إلا أن يأخذوا الركاب بأيديهم، حتى ركبت، جزوا كل خير، ومن لم يشكر الناس، لم يشكر اللّه. ثم سرت مع الأستاذ إبراهيم ومع الأستاذ ابن عثمان نتجاذب أبحاثا إلى أن وصلنا قدام الركادة، فتوادع معنا سيدي إبراهيم، لأنه مكلف بشغل تقتضيه وضيفته، فأخوض مع الأستاذ الآخر في مباحث إلى تزنيت، وهو يتأسف على عدم أخذه للحديث وعلمه كما ينبغي" (خلال جزولة، ج1 ص93-116).

شتات أولاد جرّار (1): مدخل
أهمية الموضوع ومصادر المعلومات



نبات الطرخشقون: شعار موضوع الشتات

حظي موضوع الشتات بعناية خاصة في الحضارات القديمة، فالتاريخ دوّن أصول الشعوب وترحالها، وكذلك الشعر، والأدب، واللغة، والسياسة، والأنساب، والجغرافيا؛ كلّ أدلى بدلوه للحفاظ على ذاكرات القوافل وطرق شتاتها. وأما حضارات اليوم، فقد ضاعفت اهتمامها بالشتات؛ نظرا لارتفاع وثيرته في القرن العشرين، بسبب الكوارث، والحروب، والمجاعات، فَصَارَت لهذا الموضوع شواهد وتخصصات جامعية، ومتاحف وبرامج إعلامية. وأما الدوافع التي تجعل الإنسان يتعلق بجذوره، ويهتم بشتات قومه، فهي حبه الجبلي للوطن، ثم حاجته لتحسين الذات والإستفادة من التاريخ.

إن أولاد جرّار من أكثر القبائل شتاتاً في المغرب الأقصى، فقد أحصينا إلى حدود اليوم 33 قرية وتجمعا سكنيا في المغرب وصحرائه الشرقية –ونتوقع اكتشاف المزيد إن شاء الله. وأما هوية الجرَّاريين بهذه القرى، فتنقسم إلى صنفين: صنف كانت ساكنته كبيرة العدد، فلم يَحدث تَغَيُّرٌ ذو بالٍ على عروبته، رغم توسطه قبائل العجم؛ وصنف كانت ساكنته صغيرة العدد، فتعجَّمت لهجته، وانصهرت هويته في المحيط الأمازيغي، دون أن تضيع أنسابه.

إن المعلومات التي سنقدم عن الشتات الجرّاري تستند على مصدرين: مصدر رئيسي، هو مجموع الحقائق التاريخية التي عرضنا في الفصول السابقة، وكشفنا عن مراجعها؛ ثم مصدر ثانوي، هو الرواية الشفهية التي أطلَعَنا عليها أقاربنا في قرى الشتات، والتي شكلت همزة وصل، استطعنا من خلالها أن نوافق بين نتائج المصدر الرئيسي. وقد كان للشتات الجرّاري منبعان: المنبع الأول هو ضفاف ملوية، بين أوطاط الحاج وگرسيف، وكانت اتجاهاته نحو قصور تافيلالت، ووادي درعة، وبسيط سوس؛ ثم صحاري الظهرة، وتالسينت، ووادي الساورة، وتيكورارين، وجبال الأطلس والريف؛ ثم مدن السودان، كتنبوكتو، وجنّى، وكاغو؛ وأما المنبع الثاني، فهو بسيط سوس، وكانت اتجاهاته نحو سهول الشمال، وجبال الريف، والأطلس المتوسط، والثغور الشاطئية، والعواصم الإقتصادية.

شتات أولاد جرّار (2): المنبع الأول هو ضفاف ملوية
كان مجال الشتات الأول صحراء المغرب شرقاً وغربا



صحراء المغرب الشرقية

وادي ملوية هو أول موطن سكنه الجرّاريون بعد دخولهم إلى المغرب سنة 584، قادمين من الحجاز عبر مصر وتونس. وبعد مرور عِقْدَيْنِ، توالت سنوات الجفاف بالوادي، فبدأت القبيلة تزحف تدريجيا نحو الواحات الخصبة على ضفاف درعة، ثم ثار الناس على الموحّدين بتافيلالت سنة 609، فدخل الجرّاريون المدينة لسد الفراغ السياسي، وللتحكم في القوافل التجارية، فبنوا لأنفسهم قصر أولاد حسين، وقصر أولاد غانم. وانطلاقا من هذه الفترة بالتحديد، وبسبب السنين القاحطة، والحروب المرينية الزيانية، بدأ الشتات الأول، واتخذ اتجاهات مختلفة، فمن الجرّاريين من استوطن وادي درعة بمحاميد الغزلان، ومنهم من سيَّر قوافل تنبكتو، وصار يُعَدُّ من عرب أزواد؟ كأولاد غانم مثلاً –ويقال غنّام؟ ومنهم من ظعن في صحراء الظهرة، وهضاب تالسينت، ومنهم من ذهب إلى الصحراء الشرقية، وسيطر على واحاتها، وقد انحصر شتات هؤلاء اليوم بالواتة، وبني عباس. ومنهم من أقطعه المرينيون مدناً جبلية بالأطلس والريف، فتعجمت لغتهم هناك؛ نظرا لقلتهم بين أمازيغ المرتفعات. ونجد اليوم قرى هذا الشتات بإِيجُرَار الأطلس الكبير، والدريوش قرب الناظور؟ وتاغزوت قرب الحسيمة؟ (وصف إفريقيا، ج1 ص55). ومنهم من قصد فاساً لطلب الرزق، قادماً من قصر زرزاي في أقصى شمال موطنهم بملوية (زرزاي، سعيد العفاسي جريدة المثقف ع1323). ومنهم من استجاب سنة 651 لدعوة ابن يدر، فسلك طريق درعة، حتى بلغ مصبه في المحيط، ثم انتقل أغلب هذه الطائفة إلى بسيط أزغار بسوس، وتخلفت فرقة عند مصب الوادي، في منطقة تسمى البيار قرب طانطان، وأخرى بأيت جرّار قرب إفران الأطلس الصغير، وأخرى بفم زكيد في أسفل الواحة، وأخرى بأيت منصور على ضفاف إيسي. هذه الفرقة الأخيرة هي أولاد منصور، وهم عدة بطون، فأولاد عيسى بن منصور مكثوا بإيسي، وأولاد يعزى بن منصور نزلوا بتلمت قرب أساكي، وأولاد عبد العزيز بن منصور نزلوا بتيلكات (انظر الصفحة 39)، ثم انتقلوا إلى بلفاع لما بُنِيَ سَدُّ ابن تاشفين. وبعد نزول سواد القبيلة في أزغار، زحفت فرقتان نحو الشمال: فصعدت الأولى إلى سَنِيٍّ جبال هلالة الجعفريين، وتمزغت مثلما تمزغت هلالة، وصارت تعرف بإِيجُرَار؛ ثم انتقلت الثانية إلى جنوب أكادير بسبب الجدب، فَسُمِّيَت أَجْرَّار، وليست هي القرية التي كانت عند حصن سانتا كروز؛ لأن شتات أَجْرَّار لم يطأ وادي سوس إلا في القرن الثاني عشر.

شتات أولاد جرّار (3): المنبع الثاني هو بسيط سوس

كان مجال الشتات الثاني شمال المغرب جبلاً وسهلا



جبال المغرب الأطلسية

منبع الشتات الثاني لقبيلتنا هو عين أولاد جرّار بسوس، وقد كانت له أسباب سياسية وأخرى اقتصادية. أما الأسباب السياسية فهي: حرص الدولتين –السعدية والعلوية– على كسر شوكة القبيلة، ليسهل التحكم فيها، واستخدام نجدتها في جيش سوس السعدي، ثم في كَيش الأودايا العلوي، ما بين القرنين العاشر والرابع عشر. وقد أدى ذلك إلى تفريق القبيلة في كل نواحي المملكة، لتوفير الأمن للمغاربة، وإخماد الفتن، وحراسة الثغور من الغزو الأوربي. والأدلة على ما تقدم كثيرة، وسنذكر هنا شيئا يسيرا منها. قال الناصري: "خرج أمير المؤمنين المولى محمد بن عبد الله من مراكش [...] وبعث إلى الأودايا راتبهم وأمرهم بالنهوض معه للتطواف على الثغور البحرية من بلاد المغرب" (الإستقصا، ج8 ص11)، ثم قال: "وزاد عليهم ألفين وخمسمائة من الودايا جلبها من القبائل وكتب الجميع في الديوان [...] وأفاض فيهم العطاء الكثير لسكناهم بثغر من ثغور الإسلام" (الإستقصا، ج8 ص35). وقال أحمد عمالك: "يعرف الباحثون أن بعض الحكام أقدموا على ترحيل قبائل وفرق من جهة إلى أخرى، وعمد بعضهم إلى تفكيك بعض القبائل وتشتيتها لكسر شوكتها، وكسر عصبيتها وإضعافها. ولا نعدم أمثلة في هذا المقام، تذكروا معي أولاد جرّار" (الفتنة نائمة، جريدة العدل والإحسان 09/09/2002). وأما الأسباب الإقتصادية لهذا الشتات فهي: أولاً، القحط الناتج عن تصحر أزغار، وسنين الجفاف، وآفات الجراد؛ وثانياً، تفقير الكثير من الأسر وضياع ممتلكاتها، بسبب ظلم الولاة، ونهبهم لأموال الضعيف. وقد تلقينا من الرواية الشفهية حول هذا الموضوع ما يدمع العين، ويحزن القلب –فلا حول ولا قوة إلا بالله. أما مناطق الشتات التي نتجت عن الأسباب السياسية فهي: أولاد جرّار قصبة الأودايا، وأولاد جرّار قصبة تمارة، وأولاد جرّار سبت الأودايا، وأولاد جرّار مرسى طماريس، وأولاد جرّار سيدي بنور، وأولاد جرّار المرابيح، وأولاد جرّار سيدي بوصبر، والكَراريين بكدانة قرب بولعوان؛ والكَراريين بأولاد سعيد؛ وأما مناطق الشتات التي نتجت عن الأسباب الإقتصادية فهي: أولاد جرّار تانسيفت قرب الصويرة، وأولاد جرّار عين حرودة قرب المحمدية. وأخيراً، ما زال هذا البحث يتطلب دراسة ميدانية لإزالة الغموض حول أسباب الشتات في خمسة قرى، وهي: أولاد جرّار سيدي بوزيري، وأولاد جرّار العبابسة قرب تادلا، وبئر الجرّارة قرب خريبكة، وأيت الكَراري قرب قلعة السراغنة.

شتات أولاد جرّار (4): المختطفون

كان مجال شتاتهم الجزر الخالدات وأمريكا



الجزر الخالدات: أحد مواطن الشتات الجرّاري

ثبت أن البرتغال في القرن التاسع كانوا يختطفون المغاربة، ويسترقُّونهم في الجزر الخالدات، وأن الأوربيين كافَّةً –بعد اكتشاف أمريكا– صاروا في أمس الحاجة إلى اليد العاملة؛ وثبت أيضاً أن أغلب الضحايا كانوا من السهول المقابلة للشواطئ، كدكالة، وأولاد جرّار (دي أرماس، مجلة التاريخ العربي). وتقول سلفيان ديوف أن هؤلاء المسلمين المختطَفين هم أول من وطأ أمريكا بعد اكتشافها، وأنهم أحدثوا الثورات فور وصولهم، حتى خشي الإسبان أن يُسْلِمَ الهنود على أيديهم، فحوَّلوا سفنهم صَوْبَ بلاد السود الوثنيين (عبيد اللّه، ص18). وقبل أن أعرض عليكم تجربة مختطَفٍ زمُّوري، أود أن أشير إلى كون العرب والسود عند بعض تجار الرق سواء، ويسمونهم السود عموماً. قال ريتشارد ترنر: "إستفن رجل أسود من أزمّور بالمغرب [كان] أول مسلم معرّف في شمال أمريكا [وكان] دليلا ومترجما [...] وفي سنة 1539، كان هو أول رجل غير هندي يطأ مدن سِبولا السبع الأسطورية، وهي اليوم الولايتان أريزونا ونيو ميكسيكو. وبعد ذلك بقليل أعدمه الهنود الزوني" (الإسلام والتجربة الأفرو أمريكية، ص11)، وقد قيل أن الهنود اتهموا الزمُّوري بالتجسس (موسوعة نيتف أمركنس، ص143)، فهل كانت هذه التهمة حيلة منه باتفاق مع الزوني للتخلص من الرق؟ والبقاء في أمريكا؟ والدعوة إلى اللّه؟ فقد عُثِرَ على مساجد قديمة بنفس المكان (الإسلام في أمريكا قبل كلمبس، فونتن ع58). ثم لم يكن الإيبيريون يرقبون في أعيان المسلمين إلاً ولا ذمة، فكانوا يسترِقُّون كل من وقع بين أيديهم، كما في هذه الحكاية عند سلفيان ديوف: "قال [تاجر الرق] بربت: 'الكايري [...] باع لي مرابطاً [...] هذا العَالِمُ الأسود مكث شهرين على السفينة لا ينطق بكلمة واحدة من كثرة حزنه. وقد بعثُه في الجزر الأمريكية" (عبيد اللّه، ص40). وللإشارة، فبنو معقل في الصحراء لم يسلموا بدورهم من هذه الآفة، حيث انقسموا في شنقيط إلى فرقتين: حسَّان واللحمة؛ وظهرت الطبقية، فاسترقت حسَّان اللحمة، واحتكرت إسم العرب، رغم أنهما من أب واحد (الوسيط، ص480). قال أحمد الشنقيطي: "وانقسمت قبائل حسَّان إلى قسمين: العرب واللحمة [...] وصارت حسَّان تتناهب الأموال ويتقاتل بعضها بعضا، وصار ما كانوا يأخذون من اللحمة ملكا متوارثا، إلى أن صاروا يبتاعون رقاب اللحمة" (الوسيط، ص 475). ثم قالت ديوف أن الكثير من العبيد في أمريكا كان يتكلم العربية، ويشهد أنه عربي الأصل (عبيد اللّه، ص11،145). إنّا لا نعلم عدد المختطفين الجرّاريين قبل 500 سنة، لكن نتوقع أن يكون اليوم للفرد الواحد منهم ما لا يقل عن ألف من الذرية.

شتات أولاد جرّار (5): ضَيَاع أراضينا



وادي ملوية: منبع شتاتنا الأول

بعد حصول المغرب على الإستقلال سنة 1375، أعفت الدولة أولاد جرّار الأودايا من الخدمة العسكرية الدائمة، وشرع لصوص الإنعاش العقاري في الإستيلاء التدريجي على أراضينا الفلاحية؛ نظرا لقربها من المدن، وغلاء أثمنتها. فبعد أن أفنى الأجداد أعمارهم في حراسة هذه الحواضر من كل خطر، اتسعت اليوم رقعتها حتى وصل البنيان إلى قرانا، فاستولى السماسرة على أملاكنا بدون استحياء –ولله المشتكى. إن ضحايا هذا الإجرام المنظم هم: أولاد جرّار قصبة الأودايا، وأولاد جرّار قصبة تمارة، وأولاد جرّار مرسى طماريس. ثم هناك فئة قليلة استطاعت أن تحافظ على عقارها، لكنها فوجئت بضرائب باهضة، فاضطرت إلى بيع الأرض بأبخس الأثمنة، والخروج من ديارها بدون ولي ولا نصير. وأما أولاد جرّار سبت الأودايا على وادي سبو، فإن الدولة لم تمنحهم ملكية العقار أصلا، وما زالوا يفلحون الأرض دون حق في ملكها، وكان الأحرى أن يُجْزَوْنَ على الخدمة كما جُوزيَ أشقاؤهم. ثم يجب أن نذكر النهب الذي استهدف الجرّاريين بأوطاط الحاج، حيث وهبهم مولاي محمد الخامس أراضي تانديت في أربعينيات القرن الماضي، بعد فيضان ملوية، واليوم استولى لصوص العقار على بعضها، وسلبوا إخواننا حقهم فيها. ولم يسلم أولاد جرّار بسوس من هذا العدوان، رغم أن ملكيتهم هناك ثابتة منذ ثمان قرون، فقد رفضت السلطات مؤخراً أن تُحَفِّظ بعض أراضيهم بدعوى انتمائها إلى التحديد الغابوي، رغم توفر الجرّاريين على وثائق تثبت مِلكهم الشرعي للعقار بدون أدنى ريب. وأما السبيل لاسترجاع هذه الأراضي فهو: أن نؤمن باللّه واليوم الآخر قولاً وعملا! إن جل المناطق التي تسكنها قبيلتنا الجعفرية يوجد بجانبها نهر ملآن، أو عين تفور، وهذه النعمة إنما حصلت بدعاء رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم لآل جعفر، ودعاء إبراهيم عليه السلام لآل البيت. فبعد استشهاد الطيّار رضي اللّه عنه، قال النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "اللّهُمّ اخلُف جَعفَراً فِي أهلِه" (صحيح: أحكام الجنائز للألباني)، وقال سبحانه وتعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (إبراهيم: 37). فانظر كيف استجاب اللّه عز وجل لدعاء الرسل عليهم الصلاة والسلام، فأسكن سلفنا الحدائق المثمرة، والبساتين البهيجة، وما من نهر كبير في المغرب إلا وتجد على ضفافه قرية للجرَّاريين، بل حتى أقاربنا الذين بقفار سوس، دلّهم جلّ وعلا على عيون مباركة اخضرت لها الجنان. فإذا أردنا استرجاع أراضينا، علينا أن نؤمن باللّه واليوم الآخر حق الإيمان.

شتات أولاد جرّار (6): الجعافرة الزينبيون



مسجد أمّنا السيدة زينب بالقاهرة

اعلم رحمك اللّه، أن أولى الناس بالصلة هم الأقرب إليك رَحِمًا، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "إن الله يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب" (صحيح: السلسلة للألباني). ولهذا الغرض، سنعرض ترتيب الأنساب الجعفرية حسب قربها من أولاد جرّار. أدنى بطون المعقل إلينا هم أولاد حسين، الذين ننتمي إليهم، ثم أولاد أبي الحسن، شقيق الحسين، ثم الأحلاف أبناء إخوته من الأب، وهم العمارنة والمنابهة. ويلي هؤلاء أبناء عمومتهم: الشبانات، والرقيطات، والحسّانيون. أما الشبانات فهم أولاد علي، وبنو ثابت؛ وأما الرقيطات فهم أولاد علي، وأولاد جلال، وأولاد سالم؛ وأما الحسّانيون فهم الترارزة والبراكنة والمغافرة والرحامنة والبرابيش وأولاد الدليم والأوديا. ويلي ما تقدم الناصريون، ثم الثعالبة وذوو عُبَيد اللّه في الجزائر. أما الثعالبة فأُبيدَ أكثرُهم، ونجى منهم الحجاوة بوادي سبو. وأما عُبَيد اللّه فهم الخرّاج والهرّاج: الخرّاج هم الجعاونة والمطارقة والعثامنة والمهاية والغسل؛ والهرّاج هم أولاد فكرون وأولاد مرين وأولاد مناد (العبر، ج6 ص77). وأما جعافرة المغرب من غير المعقل فهم هلالة، ولا أعني بني هلال، بل هلالة سوس الذين استوطنوه في عهد الأدارسة، وجدهم عباس بن عبد اللّه بن جعفر، وهم اليوم بجبال إيلالن قرب تارودانت، وبأقا وأساكا وإيغشان وأملن وتاشبييت وتيزنلي (تاريخ هلالة، ص202). والآن هيا بنا إلى المشرق! قال أيوب عبد الرحمٰن: "هناك في مدينة القدس محمد جرّار المغربي زوج غياضة بنت عبد الرحيم الصامت، وبعد وفاته نودي بأولاد غياضة، ومن ذريته في مخيم الحسين لهم محلات مجوهرات باسم غياضة" (عائلات بلاد الشام، ص183)، فهؤلاء جرّاريون عاشوا في القدس 340 سنة، ثم انتقلوا بعدُ إلى الأردن. ويليهم الجعافرة الزيانبة في مصر بأسوان وقوص وجرجا وأخميم وأسيوط وديروط والرملة والجعفرية ودمياط، وفي السعودية بالمدينة والأحساء، وفي قطر بالعقيق، وفي سوريا بدمشق، وفي فلسطين بنابلس، وفي العراق بالبصرة والكوفة وبغداد والموصل، وفي إيران بشيراز ونيسابور وطبرستان وبيهق وهمذان ودينور، ثم في تركمنستان بمرو. ويليهم الجعافرة من ذرية إسحاق بن عبد اللّه، ومواطنهم في العراق وإيران والقزوين وسمرقند وبخارى، ومنهم في بلاد العرب كثير (الطلعة، ج1 ص55). ثم لا ينبغي خلط نسبنا بالشيعة الجعفرية، فذاك مذهب وهذا نسب، ولا بمختلف العشائر الجرّارية المشرقية، فالجرّاريون السعوديون من حرب، والفلسطينيون من الشقران، والليبيون والمصريون من الجيلاني؟ والسودانيون جعافرة، لكنهم من جرّار غير ابن عرفة المعقلي؛ لأن هذا الأخير ولد بالمغرب، ولأن المشجرة التي في حوزتهم مختلفة تماما عن مشجرتنا.

شتات أولاد جرّار (7): جمع الشتات



الشتات الصحراوي لا يلتئم بدون شاي

قبل الحديث عن الإلتئام، ينبغي علينا أن نشخص الداء، ونتعرف على الدواء؛ فشتات العشيرة مصيبة حلت بنا، بسبب الذنوب والبعد عن كتاب اللّه. قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فبمَا كَسَبَت أيدِيكُم} (الشورى: 30)، ثم قال النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "إنَّ اللَّهَ يَرفعُ بهَذا الكِتاب أقوَاماً، وَيَضَعُ بِهِ آخَرينَ" (صحيح: مسلم)، وقال: "أبشروا، فإن هذا القرآن طرفه بيد اللّه، وطرفه بأيديكم، فتمسَّكوا به" (صحيح: الجامع للألباني). وأما التئامنا، فلن يتم إلا بالرجوع إلى الهدى الذي كان عليه سلفنا. قال الإمام مالك: "لا يَصْلُحُ آخِرُ هَذِهِ الأمَّة إلا بما صَلُحَ به أوّلُهَا" (صحيح: حجة النبي للالباني)، وقال النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم للأنصار: "ألم أجدكُم ضلالاً فهَدَاكُمُ اللّهُ بي؟ وَكُنتم مُتفرِّقِينَ فألَّفكُمُ اللّهُ بي؟ وَكُنتم عَالة فأغناكُمُ اللّهُ بي؟" (متفق عليه)، فانظر كيف قرن الهدى بالإلتئام والغنى!

كان جمعُ شتات أولاد جرّار على موقعٍ للتواصل الإجتماعي سنة 1434 أوّلَ بادرةٍ لِلَمْلَمَةِ الجرّاريين، وتعريف بعضهم على بعض، وقد استطعنا –بحول اللّه وقوته– أن نُحييَ روابط القرابة والمودة بين مختلف قرى الشتات، من طانطان إلى تطوان. ثم اقترح نفر من أعضاء المجموعة أن ننجز مشروعا أكبر، يحمي تراثنا، وينفع ذوينا. فأجبناهم إلى ذلك بمخطط تمهيدي يتمحور حول خمسة أهداف: أولاً، تنظيم حفل سنوي يجمع كل فروع القبيلة في أحد منبعي الشتات؛ ثانياً، إنشاء دُورٍ للشباب تستضيف الأقارب في كل قرى أولاد جرّار؛ ثالثاً، تأسيس ثلاث متاحف للتعريف بتراث عشيرتنا، في كل من الرباط، وعين أولاد جرّار بسوس، وقصر أولاد غانم بتافيلالت؛ رابعاً، إصلاح وترميم آثار القبيلة في بسيط سوس، وضفاف ملوية، وقصور تافيلالت؛ خامساً، الدفاع بكل الوسائل السلمية، والفرص المتاحة، عن قضية صحرائنا الوطنية، وجعلها على رأس اهتماماتنا، ومنع المرتزقة من فصل الساقية الحمراء ووادي الذهب عن بلادنا العزيزة، وذلك من خلال تثقيف أقاربنا، والشعب المغربي، ثم العالم بأسره، حول أصلنا الصحراوي الحميد، وحول ارتباط تاريخنا، على عبر العصور، بتاريخ المغرب المجيد. وليعلم الجرّاريون في كل أنحاء المملكة، أنه لا ضير في الشتات، ما دامت الصحراء قطعة من أرضهم، يزورونها متى يشاؤون، وكيف يشاؤون؛ وأما إذا أغلقت أبوابها دونهم، عَلَّقَ شتاتهم في نواصيهم، وقطعت جذورهم وأرحامهم إلى الأبد. فلنُبلِ يا إخوتي البلاء الحسن في الدفاع عن أمّنا الصحراء، ولنذكر ما حيينا، أنها رمال أسلافنا بني جرّار، وأننا الخلف أولوا النخوة، أصحاب الخيمة الأحرار.

نصيحة أولاد جرّار



{وأنذر عشيرتك الأقربين}

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "الدين النصيحة" (متفق عليه)، وقال تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} (الشعراء: 214)، فأنصحكم ونفسي بالمحافظة على مواقيت الصلاة، وعلى السنن الراتبة، فإن صلواتكم الخمس – التي خلقتم من أجلها– لن تضيع أبداً ما أدمتم رعاية الرواتب. ثم اللّه اللّه في حق الوالدين، فلا يفوتنَّكم ذلك الأجر، ولا يشغلنَّكم الأولاد ولا المال عنهما. وأما صلة الأرحام فهي من أوائل ما نزل من التشريع، ففي قصة إسلام عمر بن عبسة رضي اللّه عنه، أنه سأل النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "وبأي شيء أرسلك؟" فقال: "أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُوَحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ به شيءٌ" (صحيح: مسلم). وقد اشتق اللّه تعالى إسم الرحم من اسمه الرحمٰن، لعظم شأنها، قال النبي صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم في حديث قدسي: "قال اللّه تعالى: أنا خلقت الرحم، وشققت لها إسماً من إسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته" (صحيح: الجامع للألباني).

ثم أنصحكم يا أشقائي بأن يُعَلِّمَ بعضكم بعضاً أمور دينكم، وأن يلزم أفرادكم جماعة المسلمين. فإن هذا الزمان كثرت فيه الفرقة وقطيعة الأرحام، وزينت فيه الحزبية والخروج على الحكام، وتاللّه إن الخروج لفرية عظيمة لا أصل لها في الدين القويم. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "تسمع وتطيع الأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع" (متفق عليه)، وقال صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "من يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني" (متفق عليه). ثم قال صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض" (متفق عليه)، والأثرة الإستئثار بمتاع الدنيا، أي اسمعوا وأطيعوا وإن اختصَّ الأمراء بالمال، ولم يوصلوكم حقكم فيه. وقال صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "فإنما عليهم ما حُمِّلوا، وعليكم ما حُمِّلتم" (صحيح: مسلم). ورغم أن طاعة الحكام واجبة في ديننا، فإن السنة تنهانا عن الإقتراب منهم، أو البحث عن عمل عندهم، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "من أتى أبواب السلطان افتتن" (صحيح: الجامع للألباني)، وقال صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "ما ازداد أحد من السلطان قربا، إلا ازداد من الله بعدا" (حسن: السلسلة للألباني). وأخيرا، قال الأمين صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية. فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة" (متفق عليه).

خاتمة

هذا ما اجتمع لدي من خبر أولاد جرّار، وتاريخ أسلافهم الأبرار. وختاما، أذكركم ونفسي بتقوى اللّه، فإن تقوى اللّه جلّ وعلا هي سِرُّ دخول الجنة، وكلمة التقوى –لا إلاه إلا اللّه– هي مفتاح الجنة، لمن آمن بها، وعمل بمقتضاها. قال سبحانه وتعالى: {وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين} (آل عمران: 133)، وقال عز وجل: {ولنعم دار المتقين * جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين} (النحل: 31). ثم قال تبارك وتعالى: {وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين} (الزمر: 73).

ثم أذكركم ونفسي بالعمل الصالح، فهو الصاحب الذي يدوم، وهو الولي الشفيع، ولا ولي بعد اللّه سواه. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: "من بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه" (صحيح: مسلم). وقال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث: "معناه أن العمل هو الذي يبلغ بالعبد درجات الآخرة، كما قال تعالى: {ولكل درجات مما عملوا}، فمن أبطأ به عمله أن يبلغ به المنازل العالية عند اللّه تعالى لم يسرع به نسبه، فيبلغه تلك الدرجات؛ فإن اللّه رتّب الجزاء على الأعمال لا على الأنساب، كما قال تعالى: {فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} [...] وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

'لعمـرك ما الإنسـان إلا بدينـــه * * * فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
لقد رفع الإسـلام سلمـان فارس * * * وقد وضـع الشرك النسيــب أبا لهب"

(جامع العلوم والحكم، ص751-753).

إن أصبت فمن اللّه وحده، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، ولا تنسوني يا أحبابي من صالح دعائكم. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إلاه إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. اللهم! صلّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم، وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

الوثائق والصور

طلعة المشتري في النسب الجعفري (1)

أحد الأدلة على ثبوت شرف أولاد جرّار

المشتري هو أكبر كوكب في المجموعة الشمسية، وقد حق للناصري أن يسمي كتابه 'طلعة المشتري'؛ نظرا لما احتواه من يقين حول انتساب بني معقل إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث رد على كلام ابن خلدون -الذي يشكل الحجة الوحيدة لمن طعن في هذا النسب- فأبطله من وجوه كثيرة. قال الناصري في الباب السادس من الطلعة: "عرب معقل هم الذين بصحراء المغرب، وفيهم بطون متعددة من بني جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه على ما يزعمون، وقد قدمنا في الباب الذي قبل هذا أن طائفة من بني جعفر غلبهم بنو الحسن والحسين على الحجاز فانحدروا عنه إلى صعيد مصر، ثم لما بعث خليفة مصر المستنصر بالله العبيدي عرب هلال وسليم للاستيلاء على ملك صنهاجة بإفريقية والمغرب اندس فيهم طائفة من هؤلاء الجعافرة الذين كانوا بالصعيد ودخلوا معهم إلى المغرب، وهذه الطائفة هم بنو معقل الذين كلامنا فيهم. قال ابن خلدون: 'كان دخولهم إلى المغرب مع الهلاليين في عدد قليل يقال إنهم لم يبلغوا المائتين، واعترضهم بنو سليم فأعجزوهم، وتحيزوا إلى الهلاليين منذ عهد قديم، ونزلوا بآخر مواطنهم مما يلي ملوية ورمال 'تافيلالت'، وجاوروا زناتة في القفار الغربية فعفوا وكثروا وأثروا في صحاري المغرب الأقصى، ثم قال: وبقي منهم بإفريقية جمع قليل اندرجوا في جملة بني كعب بن سليم، ثم قال: وعددهم كما قلنا قليل وإنما كثروا بمن اجتمع إليهم من القبائل من غير نسبهم، فإن فيهم من فزارة وأشجع أحياء كثيرة، وفيهم الشبة من كدفة، والمهاية من عياض، والسعود من حصين، والصباح من الأخضر ومن بني سليم وغيرهم، قال: وأما أنسابهم عند الجمهور فخفية ومجهولة، ونسابة العرب من هلال يعدونهم منهم، وهو غير صحيح، وهم يزعمون أن نسبهم في أهل البيت إلى جعفر بن أبي طالب، وليس ذلك أيضا بصحيح؛ لأن الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل بادية ونجعة، قال: والصحيح والله أعلم أنهم من عرب اليمن، فإن فيهم بطنين يسمى كل واحد منهما بمعقل ذكرهما ابن الكلبي وغيره، فأحدهما من قضاعة وهو معقل بن كعب بن عليم بن جناب، والآخر من بني الحرث بن كعب وهو معقل واسمه ربيعة بن كعب بن ربيعة، قال: والأنسب أن يكونوا من هذا البطن الأخير يعني من بني الحرث بن كعب، ثم ذكر فروعهم بحسب ما أملاه عليه نسابتهم كما ذكر هو ذلك. انتهى كلام ابن خلدون بحذف ما لم يتعلق به غرض، وفيه أمور. أحدها: أنهم دخلوا المغرب في عدد قليل. ثانيها: أنهم إنما كثروا بما اجتمع إليهم من القبائل من غير نسبهم. ثالثها: أن أنسابهم خفية عند الجمهور. رابعها: أنهم في عصره كانوا ينتسبون إلى جعفر بن أبي طالب. خامسها: أن الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل بادية ونجعة. سادسها: رد قولهم وإلحاقهم بعرب اليمن تخمينا لوجود ذلك الاسم فيهم. سابعها: أن فروعهم التي فرعها بعد إنما تلقاها عن نسابتهم. ونحن نتكلم على هذه الأمور السبعة واحدا واحدا ليتبين الصواب من الخطإ إن شاء الله فنقول: أما الأمر الأول: وهو أنهم دخلوا المغرب في عدد قليل فصحيح مسلم، وذلك بكونهم من بني جعفر أنسب منه بكونهم من بني الحرث بن كعب في مجرى العادة التي يعتمدها هو غالبا ويحتج بها كثيرا، لأن بني الحرث بن كعب يومئذ كانوا قبيلة عظيمة فلهم الشرف والرياسة باليمن حتى كان يقال لهم: جمرة العرب، وحسبك أنهم كانوا أخوال الخلفاء من بني العباس، ومنهم ملوك بني عبد المدان الذين يضرب بهم المثل في العزة والإباية وغيرهما، فكيف تنفصل هذه الشرذمة اليسيرة عن قبيلها وأصلها، وتنقطع عن عشيرتها التي بها جلبها ودفعها وضرها ونفعها، وتدخل في غمار بني هلال الأجانب، وتتوغل في بلاد المغرب بلا سبب ظاهر؛ لأن بني الحرث بن كعب يومئذ كانوا أكثر وأعز وأبسط يداً وجاها من بني هلال ابن عامر، فما الذي يحوج هذه الطائفة اليسيرة إلى الانفصال عن أصلها العزيز الكثير واللحاق بالأجنبي الذليل القليل؟ هذا بعيد في القياس والعادة، وأما انتقال بني جعفر من الحجاز إلى الصعيد ثم منه إلى المغرب فسببه ظاهر، وموجبه واضح، وهي الحرب التي كانت بينهم وبين قومهم، والهضيمة التي نالتهم من بني عمهم وقد قال الشاعر: وظلم ذوي القربى أشد مضاضة * على الحر من وقع الحسام المهند . هذا في انتقالهم من الحجاز إلى الصعيد، وأما في انتقالهم من الصعيد إلى المغرب فسببه خشونة أرض الصعيد وشظف عيشها وقلة خيرها بالنسبة إلى أرض المغرب، فلا بُعد في أن تنفصل طائفة منهم وتدخل في غمار الهلاليين إلى المغرب لتحصيل هذه الفائدة، فإن كان ولا بد من الغربة فأرض النعيم والخصب خير من أرض البأس والجدب، هذا قريب في مجرى العادة معقول عند أهل النظر والتمييز بخلاف الأول.

أما الأمر الثاني: وهو أنهم إنما كثروا بمن اجتمع إليهم من القبائل من غير نسبهم فهو أيضاً مسلم صحيح، وهم معترفون بذلك إلى الآن، وهو أقوى في الدلالة على كونهم من بني جعفر من الوجه الذي قبله، لأن القبائل التي ذكرها ما انحازت إليهم مع كثرتها وقلتهم حتى كانت تعتقد أن لهم مزية عليها، وليست تلك المزية إلا نسب آل البيت النبوي لما علم من حال الأمم والفرق والأصناف والقبائل في ذلك العصر من التفافهم على آل البيت الكريم أهل النبوة والخلافة والرياسة وتعلقهم بأهدابهم، وإلا فأي داع لأولئك القبائل على كثرتها للانضمام إلى تلك الشرذمة القليلة الغريبة من بني الحرث بن كعب؟ هذا ما لا يعقل في العادة، ثم هم أعني بني معقل إلى اليوم معترفون بأن غيرهم دخيل فيهم ومعدود في جملتهم ويعرفون الجعفريين من غيرهم، ويفرقون بين بطن وبطن في ذلك، ولقد ذاكرت بعضهم في ذلك فاعترف به وسمى لي بطونا من الجعفريين وبطونا من غيرهم، والعجب من ابن خلدون رحمه الله حيث ذكر أولا أنهم كثيرون بغيرهم وسمى عدة قبائل انضمت إليهم حسب ما مر، ثم لما بين فروعهم التي تلقاها عن نسابتهم بزعمه لم يميز قبيلة من تلك القبائل المنضمة إليهم، بل جعل الجميع من ولد معقل، ولم يفرق بين الأصيل والدخيل، وإذا كان الجميع من ولد معقل فأين الذين انضموا إليهم مع أنهم الأكثر، هذا خلف، فظهر أنه رحمه الله لم يضبطهم كل الضبط، ولم يكن من أمرهم على يقين، وإنما حكى ما سمع والله تعالى أعلم. والأمر الثالث: وهو أن أنسابهم خفية عند الجمهور فليُنظر من هؤلاء الجمهور، فإن كان المراد بهم ابن الكلبي والزبيري وابن حزم وأمثالهم من علماء النسب الذين إليهم المرجع في هذا الشأن وينقل هو عنهم كثيرا في أصول الأمم والقبائل وأجذامهم فالجواب أن أولئك تقدم عصرهم على عصر بني معقل ودخولهم المغرب وتناسلهم به، فإن ابن حزم الذي هو من آخرهم توفي أواسط المائة الخامسة، وفي هذه المدة نفسها كان دخول بني معقل إلى المغرب كما تقدم، فالغالب أنهم لم يكونوا منه على بال لما عُلم من أن نسب الجيل إنما يبحث عنه في الغالب بعد انقراضه؛ لأن الحاضر الموجود لا تتوفر الدواعي على تحصيله وتدوينه، لأنه رخيص، والرخيص مزهود فيه، وإنما تتوفر الدواعي على تحصيل الذاهب الغامض العزيز المنال، وإلا فقلما تجد عالما نقادا ذا همة يعتني بتدوين أنساب أهل عصره وأخبارهم ومفترياتهم، وإنما تسمو همته إلى التنقير عما سلف وذهب واعتبرْ ذلك بنفسك وكلفها البحث عن أنساب زيد وعمرو من أهل عصرها وتدوين أخبارهم وما يتفق لهم فإنك لا تجد فيها داعية ولا قابلية لذلك، لأن أمثال هذه الأمور لا تصير علما مرغوبا فيه حتى تفوت فبان بهذا واتضح أن أئمة النسب المقتدى بهم فيه كابن الكلبي والزبير وابن حزم وأضرابهم لم يكن لهم داع إلى أن يضبطوا نسب بني معقل المتأخر عصرهم إلى المائة الخامسة فما بعدها؛ إما لعدم إمكانه في حق من تقدم عصره عليهم، وإما لعدم توفر الداعية على

طلعة المشتري في النسب الجعفري (2)

أحد الأدلة على ثبوت شرف أولاد جرّار

تحصيله في حق من عاصرهم، فإن قلت: أفما كان بعد هؤلاء علماء بالنسب حتى اقتصرتَ عليهم؟ قلت: بلى ولكنهم قليلون ولا يبلغون شأنهم، وأيضا فإني رأيت ابن خلدون رحمه الله ينقل عنهم غالبا، فلذا اقتصرت عليهم، وهذه إنما هي خطابات جرينا بها معه في ميدانه، لأنه يعتمدها كثيرا وهي صناعته، فلا لوم علينا إذا كلنا له بصاعه، والله الموفق، وإن كان المراد بالجمهور الذي زعم من يروي هو عنه من أعراب أهل عصره، فإنه لم يرو نسب فروع الطبقة الرابعة من العرب الذين سماهم العرب المستعجمة إلا عن أولئك الأعراب، فلا يخفى أن قولهم ليس بحجة في نسب مطلق الناس ردا وقبولا فضلا عن نسب أهل البيت الكريم، لأنهم من جملة العوام، وليسوا من أهل العلم والمعرفة بالأنساب كالفريق الأول، وما يحفظونه حينئذ من أنساب قبائلهم وعشائرهم إنما هو بحسب ما تلقوه من آبائهم المساوين لهم في قلة المعرفة والضبط، كحال من تراه من أشياخ قبائل عصرنا وكبرائهم، وإن فاتهم أولئك فبشيء يسير، فالحاصل أن ما يُتلقى منهم من تلك الأنساب لا يكون حجة قاطعة في حق أنفسهم فضلا عن غيرهم، لكن الناس مصدقون في أنسابهم على ما حازوا كما قال مالك رضي الله عنه، وأما القطع بذلك في باطن الأمر فلا، والظن بابن خلدون رحمه الله أنه إنما ينقل عنهم ما ينقله من ذلك استئناسا به لا غير؛ لأنه لما لم يجد طريقا إلى ذلك إلا عندهم تبلغ به، فبان بهذا واتضح أنه لا يضر بني معقل أن يكون أولئك الأعراب الأجلاف جاهلين بأنسابهم، والفرض أن الشارع إنما جعل التعويل في الأنساب على أهلها والله أعلم. وأما الأمر الرابع: وهو أنهم في عصره كانوا ينتسبون إلى جعفر بن أبي طالب فصحيح ومسلم أيضا، ولا زالوا على ذلك إلى الآن يعرفه الصغير والكبير منهم، واعلم أن ابن خلدون قد رد قولهم وألحقهم ببني الحارث ابن كعب باجتهاده ورأيه، ولكن لما كان الشرع قد صدقهم وقبل قولهم لم يكن علينا بأس برد ابن خلدون، ولا ضرر علينا في اجتهاده، قال مالك رضي الله عنه: «الناس مصدقون في أنسابهم على ما حازوا وعرفوا به» وأيضا فقد نص الفقهاء على قبول شهادة الرفقة القادمة من بلد بعيد بعضهم لبعض بالنسب، ويتوارثون بذلك قال الشيخ خليل في مختصره: «والقافلة بعضهم لبعض في حرابة إلى المجلوبين إلا كعشرين» قال الشيخ مصطفى الرماصي على قوله: «إلا كعشرين» ما نصه: «هذه المسألة مفروضة في الشهادة في النسب، وعلى ذلك قدره ابن مرزوق، وفي المدونة قال مالك في الحصن يفتح فيسلم أهله فيشهد بعضهم لبعض فإنهم يتوارثون بأنسابهم كما كانت العرب حين أسلمت، وأما العدد القليل يتحملون إلينا فهؤلاء لا تقبل شهادة بعضهم لبعض إلا أن يشهد سواهم من تجار أو أسارى كانوا عندهم فيتوارثون بذلك، قال ابن القاسم: والعشرون عدد كثير».هـ وإذا قبل ابن القاسم شهادة العشرين وجعلهم من قبيل الكثير فكيف لا نقبل نحن شهادة القوم الذين ناهزوا المائتين؟ فقد تقدم أن بني معقل عند دخولهم المغرب كانوا نحو المائتين، فهذا كله يرد ما تعسفه ابن خلدون من إنكار نسبهم في بني جعفر والله أعلم بغيبه. وأما الأمر الخامس: وهو أن الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل بادية ونجعة فهو في غاية السقوط، وهل كانت الحرب التي كانت بينهم وبين العلويين بالحجاز إلا وهم على حال من البداوة و النجعة؟ وهل كانت نقلتهم إلى صعيد مصر وإقامتهم به إلا على حال البداوة والنجعة؟ وقد ذكر هو نفسه ذلك، وقد تقدم عن ابن حزم أن ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانوا بنجد في عدد عظيم يحاربون الجعفريين والعلويين فينتصفون منهم، ثم انحدروا إلى صعيد مصر، فهل كان ذلك منهم [إلا] على حال البداوة و النجعة؟ وتقدم عن أبي سالم العياشي أن بني الحسين بالتصغير صاروا بادية حول المدينة يرحلون وينزلون إلى غير ذلك، ولو تتبعنا ما نقله الناس عن حال العلويين والجعفريين والبكريين والزبيريين وغيرهم وما كان عليه جلهم من حال البداوة والخشونة لطال، وقل من تكلم من النسابين على هؤلاء الفرق إلا وذكر أن جلهم كانوا أهل بادية ونجعة، وذلك في المائة الثانية فما بعدها والله الموفق. وأما الأمر السادس: وهو إلحاقهم بعرب اليمن لوجود ذلك الاسم فيهم فهو أيضا واضح البطلان، ومخالف لقاعدتي الشرع والطبع، أما مخالفته لقاعدة الشرع فلما مر من أن الناس مصدقون في أنسابهم؛ لأنها لا تعرف في الغالب إلا من قبلهم، فوكل الشارع أمرها إلى أمانتهم كالنساء المؤتمنات على أرحامهن لأن عمارة الأرحام أو خلاءها لا يعرف إلا من قبلهن ، وأما مخالفته لقاعدة الطبع فلأن من البعيد أو المحال أن يكون أحد أعرف بنسب شخص من ذلك الشخص إلا نادراً ولو كان علامة نسابة، ومن هذا المعنى ما حكاه ابن عبد البر قال: «ذكر الزبير بن بكار أن عبد الله بن حسن دخل على هشام بن عبد الملك وعنده الكلبي فقال هشام لعبد الله بن حسن: يا أبا محمد كم بلغت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السن؟ فقال: ثلاثين سنة، فقال هشام للكلبي: كم بلغت فاطمة من السنين؟ قال: خمساً وثلاثين سنة، فقال هشام لعبد الله بن حسن: اسمع ما يقوله الكلبي وقد عني بهذا الشأن، فقال عبد الله بن حسن: يا أمير المؤمنين سلني عن أمي وسل الكلبي عن أمه».هـ ولما تكلم الزبير بن بكار على الخلاف في قريش من هو وجزم بأنه فهر بن مالك قال ما نصه: «فنحن أعلم بأمورنا وأوعى لمآثرنا وأحفظ لأسمائنا».هـ ثم ما ذكره من وجود اسم معقل في بني الحارث بن كعب من عرب اليمن وجعل ذلك ذريعة لكون هذه الفرقة منهم غير صحيح، فإن لفظ ابن مَعْقِل الذي كلامنا فيه بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف بوزن مَسْجِد، ولفظ مُعَقِّل الذي في بني الحارث بن كعب ضبطه صاحب القاموس بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر القاف المشددة بوزن مُحَدِّث، وضبطه بعض الحفاظ بفتح القاف المشددة بوزن مُعَظَّم، وأين هذا من ذلك؟ فالحاصل أن ابن خلدون رحمه الله ركب في هذه النازلة متن عمياء وخبط خبط عشواء والله الموفق. وأما الأمر السابع: وهو أن كيفية تلك الفروع التي فرعها من ولد معقل وأسمائهم وولادتهم إنما تلقاها عن نسابتهم فقد تقدم ما فيه، وأن أولئك الأعراب لا تنهض بقولهم ومعرفتهم حجة ردا وقبولا لأنما هم من جملة العوام، وما يحفظونه ويذكرونه من بعض تلك الفروع لا يوثق بهم فيه لأنهم سمعوا الناس يقولون شيئًا فقالوه، هذا هو الحق والصواب إن شاء الله، فقد بان لك اختلال كلام ابن خلدون في هذه النازلة وسقوطه بجميع وجوهه، ولم يبق في أمر هؤلاء القوم إلا الرجوع للقاعدة الشرعية واطّراح الشكوك والأوهام، وهي أنهم حيث كانوا ينتسبون قديما وحديثا وخلفاً عن سلف إلى جعفر رضي الله عنه وقامت القرائن القوية الدالة على صدقهم، وعرفنا كيف تدرجت أحوالهم من الانتقال من الحجاز إلى الصعيد، ثم من الصعيد إلى صحراء المغرب الأقصى، وعرفنا السبب في ذلك ونقله الأئمة الأثبات، حرُم علينا أن ننفيهم عن نسبهم بلا دليل، وأن نظن بهم الكذب فيه، لأن سوء الظن بالمسلم حرام، والله تعالى أعلم" (طلعة المشتري، ج1 ص109-115).

خريطة قرى أولاد جرّار



مفتاح خريطة قرى أولاد جرّار

1 : أولاد جرّار الدريوش، الناظور.

2 : أولاد جرّار تاغزوت، الحسيمة.

3 : أولاد جرّار الحياينة، فاس.

4 : أولاد جرّار ملوية، أوطاط الحاج.

5 : أجرّار تالسينت، بوعرفة.

6 : إيجُرَار الريش، الراشيدية.

7 : قصر أولاد غانم، تافيلالت.

8 : قصر أولاد حسين، تافيلالت.

9 : قصر أولاد جرّار امزاورو، برّبي.

10: أولاد جرّار الغنانمة، بني عباس.

11: أولاد جرّار سيدي بوصبر، وزان.

12: أولاد جرّار المرابيح، سيدي قاسم.

13: أولاد جرّار سبت الأوداية، مكناس.

14: أولاد جرّار الأوداية، الرباط.

15: أولاد جرّار عين حرودة، المحمدية.

16: أولاد جرّار طماريس، الدار البيضاء.

17: الگراريين أولاد سعيد، سطات.

18: الگراريين كدانة، سطات.

19: أولاد جرّار دكالة، الجديدة.

20: أولاد جرّار السوالمة، آسفي.

21: أولاد جرّار سيدي بوزيري، سطات.

22: أولاد جرّار العبابسة، قصبة تادلة.

23: بئر الجرّارة، خريبگة.

24: أيت الگراري، قلعة السراغنة.

25: أولاد منصور تامتالت، تارودانت.

26: أجرّار حي الأمل، أگادير.

27: أولاد منصور بلفاع، أگادير.

28: إيجُرَار جبال هلالة، تارودانت.

29: أولاد منصور إيسي، طاطا.

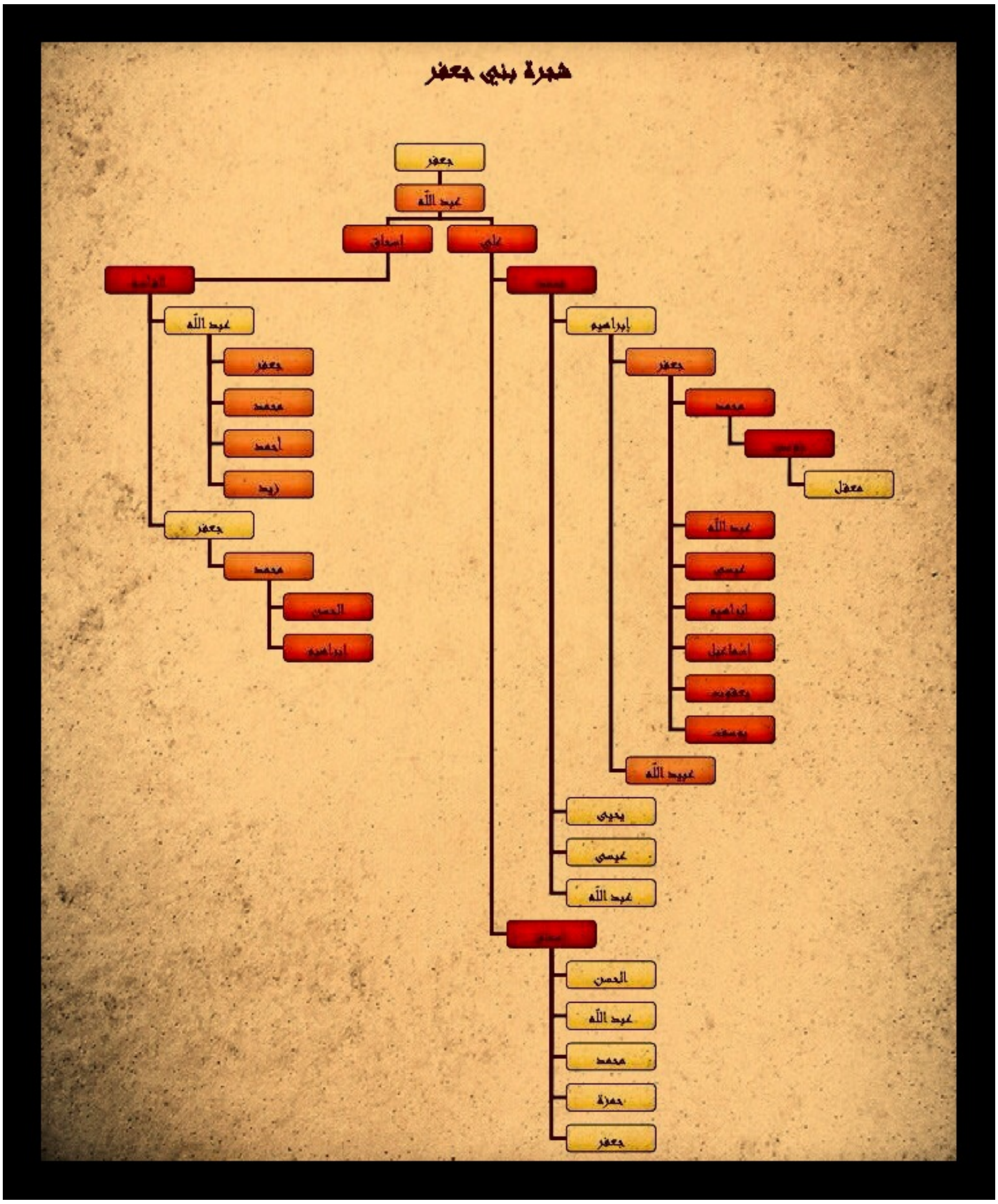
30: أولاد جرّار أزغار، تزنيت.

31: أيت جرّار تيمولاي، گلميم.

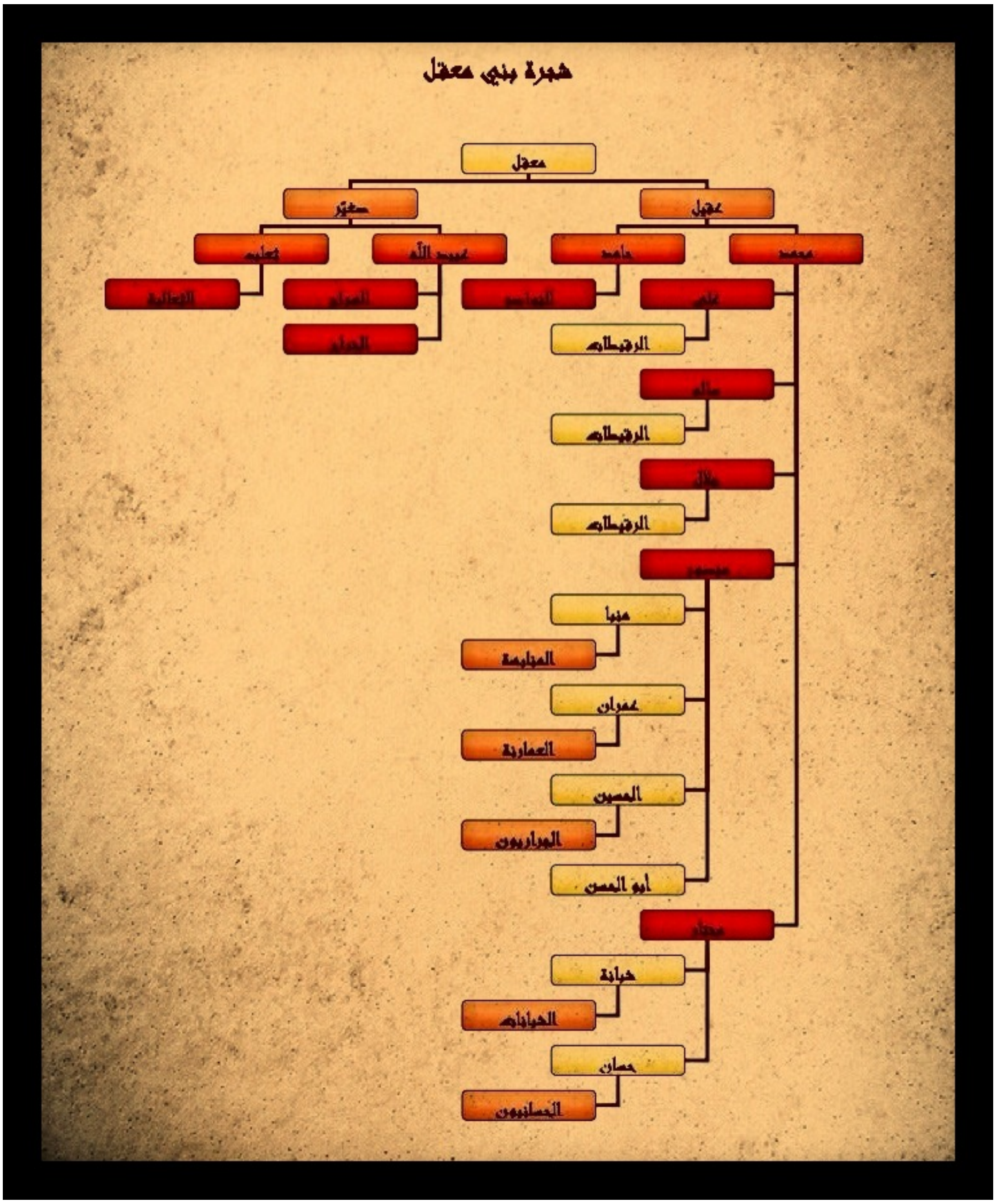
32: أولاد جرّار البيار، طانطان.

33: أولاد جرّار فم زگيد، طاطا.

شجرة بني جعفر



شجرة بني معقل



صورة بلباس گيش الأوداية لجدّ المؤلف القائد الحسين
بن المهدي الأصغر بن المهدي الأكبر الجرّاري المعقلي الجعفري رحمه الله



صورة بلباس گيش الأوداية لأبي جعفر
عدنان بن عمر بن القائد الحسين الجرّاري المعقلي الجعفري



المراجع والمصادر

القرآن الكريم

آبادي، محمد أشرف: - عون المعبود على سنن أبي داود، تقديم ابن صبري، دار ابن حزم، عمان، بدون تاريخ.

ابن أبي زرع، الفاسي: - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب، ليطريس أكادميسيس، 1863م.

ابن الجوزي، عبد الرحمٰن: - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

ابن الحاج الركراكي، أحمد: - الشموس المنيرة في أخبار مدينة الصويرة، المطبعة الوطنية، الرباط، 1354هـ.

ابن حبّان، أبو حاتم محمد: - كتاب الثقات، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1398هـ.

ابن حزم، علي بن أحمد: - جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1982م.

ابن حنبل، أحمد: - المسند للإمام أحمد بن محمد ابن حنبل، تحقيق أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، 1416هـ.

ابن خلدون، عبد الرحمٰن: - العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق شحادة وزكار، دار الفكر، بيروت، 1421هـ.

ابن خلدون، يحيى: - بغية الرواد، تعليق بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر، الجزائر، 2007م.

ابن رجب، عبد الرحمٰن: - جامع العلوم والحكم، تحقيق ماهر ياسين، دار ابن كثير، دمشق، 1429هـ.

ابن زيدان، العلوي: - إتحاف أعلام الناس، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1429هـ.

- المنزع اللطيف، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة إديال، الدار البيضاء، 1413هـ.

ابن العاصمي المكي، عبد الملك: - سمط النجوم العوالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

ابن عبد الوهاب، الموريتاني: - الحسوة البيسانية في معرفة الأنساب الحسانية، المعهد الموريتاني، 1996م.

ابن عنبة، جمال الدين: - عمدة الطالب، تحقيق الرجائي، مكتبة المرعشي النجفي، قم، 2009م.

ابن كثير، إسماعيل: - البداية والنهاية، دار التقوى للنشر والتوزيع، القاهرة، 1420هـ.

- الفصول في سيرة الرسول، تحقيق الخطراوي ومتو، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، 1403هـ.

ابن منظور، جمال الدين: - لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1955م.

أحمد بابا، التنبكتي السوداني: - نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398هـ.

الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم: - مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1870م.

أعراب، سعيد: - ظهائر سلطانية لحراسة الشواطئ المغربية، مجلة دعوة الحق، العددان 125 و268.

الإكراري، محمد بن أحمد: - روضة الأفنان في وفيان الأعيان، كلية الآداب، جامعة ابن زهر، أكادير، 1998م.

الألباني، محمد ناصر الدين: - صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، 1408هـ.

- صحيح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية، عمان، 1421هـ.

- صحيح كتب السنن، مكتبة المعارف، الرياض، 1417هـ.

- أحكام الجنائز وبدعها، مكتبة المعارف، الرياض، 1412هـ.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، 1417هـ.

برافو، جاك: - صور المغرب، ونقدم لهذا الفنان البارع جزيل شكرنا على سماحه باستعمال صوره في هذا الكتاب.

برتزكر، باري: - موسوعة النيتف أمركنس، مكتبة الكونغرس، سانطا باربرا، 1998م.

بوشعراء، مصطفى: - علاقة المخزن بأحواز سلا، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1417هـ.

البوزيدي، أحمد: - التاريخ الإجتماعي لدرعة، بدايات _ آفاق، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، 1994م.

البوقدوري، محمد بن أحمد: - تاريخ قبائل هلالة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000م.

البيهقي، أبو الحسن علي: - لباب الأنساب، تحقيق الرجائي، مكتبة المرعشي النجفي، قم، 2007م.

التاسفتي: - رحلة الوافد، منشورات جامعة ابن طفيل، القنيطرة، 1992م.

ترنر، ريتشارد: - الإسلام والتجربة الإفريقية الأمريكية، مطبعة جامعة إينديانا، إينديانابوليس، 2003م.

ترينكا، جورج: - قبائل الشهاونة، ترجمة محمد غازي، مركز الأبحاث والدراسات حول الدار البيضاء، بدون تاريخ.

الجرّاري، عباس: - أقاليم شابة في مغرب شاب، إقليم الصخيرات، مجلة دعوة الحق، العدد 270، يونيو 1988م.

- العالم المجاهد، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985م.

- والدي عبد الله الجرّاري رحمه الله، موقع المستشار عباس بن عبد الله الجرّاري.

الجريسي، خالد بن عبد الرحمٰن: العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، توزيع مؤسسة الجريسي، بدون تاريخ.

الجعفري، أحمد بن عبد اللطيف: القلائد الجعفرية الطيارية، مكتبة التوبة، الرياض، 1435هـ.

الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر: معلمة المغرب، مطابع سلا، سلا، 1419هـ.

جمل الليل، يوسف بن عبد الله: الشجرة الزكية في أنساب بني هاشم، دار التوبة، الرياض، 1430هـ.

برادة، ثريا: الجيش المغربي وتطوره، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1997م.

الحجوي الثعالبي، محمد: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، إدارة المعارف، الرباط، 1340هـ.

حجّي، محمد: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، دار المغرب للتأليف، المحمدية، 1398هـ.

الحضيكي، محمد: طبقات الحضيكي، تحقيق بومزگو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1427هـ.

الحمدوشي، محمد: -خلفيات تغيير الإسم، جريدة بيان اليوم، 2010/07/25.

- مرفأ الصيد التقليدي بدار بوعزة، مدونة محمد الحمدوشي على موقع التواصل الإجتماعي، 2012/02/06.

حنداين، محمد: المخزن وسوس، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005م.

الخديمي، علال: التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1994م.

الخنساء، تماضر بنت عمرو: ديوان الخنساء، شرح حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، 1425هـ.

خورشيد، عبد الله: القبائل العربية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.

دوتي، إدموند: مراكش قبائل الشاوية، ترجمة محمد بن عمر، المركز الوطني للبحث العلمي، فاس، 1431هـ.

ديوف، سيلفيان: عَبيد الله، نشر جامعة نيويورك، نيويورك، 2013م.

الرازي، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، تحقيق اليماني، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1371هـ.

الرازي، فخر الدين: الشجرة المباركة في الأنساب الطالبية، تحقيق الرجائي، مكتبة المرعشي النجفي، قم، 1409هـ.

الزبيدي، محمد مرتضى: الروض المعطار في نسب السادة آل جعفر الطيار، مخطوط.

الزياني، أبو القاسم: البستان الظريف، تحقيق رشيد الزاوية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992م.

السكراتي، علي بن الحبيب: تحلية الطروس في ذكر رجالات سوس، مخطوط، خزانة المختار السوسي، تزنيت.

السعدي، عبد الرحمٰن: تاريخ السودان، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، باريز، 1981م.

السعيدي، المهدي: قراءة لكتاب إسبانيا في أفريقية الأطلسية لدي أرماس، مجلة التاريخ العربي، العدد 26.

السوسي، محمد المختار: - خلال جزولة، المطبعة المهدية، تطوان، 1972م.

- المعسول، مطبعة الشمال الإفريقي، الرباط، 1380هـ.

- من أفواه الرجال، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2012م.

- منية المتطلعين، المطبعة المهدية، تطوان، 1961م.

الشامي، أيوب عبد الرحمٰن: عائلات بلاد الشام في العهد العثماني، دار الفتح، عمان، 2011م.

الشنقيطي، أحمد الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المدني، القاهرة، 1989م.

الضعيّف، أبو عبد الله: تاريخ الضعيِّف الرباطي، تحقيق أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، 1406هـ.

الطبري، ابن جرير: - تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1975م.

- تفسير الطبري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ.

طقوش، محمد سهيل: تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، 2007م.

الطيار، محمد نعمان: طبقات الأنساب، سلسلة كتب ثقافية، كتاب الشهر 167، وزارة الثقافة الأردنية، 2012م.

عارف، أحمد عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة، دار كنان للطباعة والنشر، دمشق، 1996م.

العباد، عبد المحسن: فضل آل البيت وعلو مكانتهم، دار ابن الأثير، الرياض، 1422هـ.

العثيمين، محمد بن صالح: شرح رياض الصالحين، دار الوطن، الرياض، 1416هـ.

العراقي، عبد المجيد: تاريخ العراقي، مخطوط، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء.

العسقلاني، ابن حجر: - الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة العصرية، بيروت، 2012م.

- تقريب التهذيب، تحقيق أحمد شاغف، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، 1421هـ.

- فتحُ البَاري شرح صحيح البخاري، دار السلام، الرياض، 1421هـ.

العفاسي، سعيد: زرزاي _ النقل العابر للمدينة القديمة بفاس، صحيفة المثقف، العدد 1323، 2010/02/02.

علوي، حسن حافظي: سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن، مطبعة فضالة، المحمدية، 1418هـ.

العلوي، هاشم القاسمي: مقدمات وأبحاث في تاريخ العلويين السجلماسيين، مجلة التاريخ العربي، العدد 60.

الغربي، محمد: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982م.

الفاسي، عبد الإلاه: مدينة الرباط وأعيانها في القرن التاسع عشر، مطابع الأطلس، الرباط، 1996م.

الفشتالي، عبد العزيز: مناهل الصفا، تحقيق كريّم، كلية الآداب _ جامعة محمد الخامس، الرباط، 1972م.

قاسم، حسن محمد: السيدة زينب، دار الطباعة المنيرية، القاهرة، 1351هـ.

القديم، جمال: عبد الله الجراري، أعلام القرن الخامس عشر الهجري، موقع مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث.

قسوح، اليماني: لمحة عن تاريخ إمارة أيت يدر بسوس، مجلة تويزة، العدد 43، نونبر 2000م.

الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير: فهرس الفهارس والأثبات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.

كريّم، عبد الكريم: المغرب في عهد الدولة السعدية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1427هـ.

كميل، مصطفى: أراضي الگيش، الهيئة الوطنية لحماية المال العام بالمغرب، جريدة وجدة سيتي، 2007/07/11.

مارسي، جورج: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق، ترجمة محمود هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م.

مارمول، كربخال: إفريقيا، ترجمة حجّي وزنيبر والأخضر، مكتبة المعارف الجديدة، الرباط، 1404هـ.

المعروفي، هاشم: عبير الزهور في تاريخ الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1407هـ.

المقريزي، أحمد تقي الدين: إمتاع الأسماع، تحقيق محمد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ.

مؤلف مجهول: تاريخ سانتا كروز، تعريب أحمد صابر، كلية الآداب _ ابن زهر، أكادير، 1994م.

مويط، الفرنسي: رحلة الأسير مويط، ترجمة محمد حجّي ومحمد الأخضر، دار المناهل للطباعة والنشر، 1990م.

الناصري، أحمد بن خالد: - الإستقصا، تحقيق جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ.

- طلعة المشتري في النسب الجعفري، مخطوط، مكتبة جامعة هارفرد، بوسطن.

النحوي، خليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط، مكتبة المنتدى الإسلامي، تونس، 1987م.

النووي، يحيى بن شرف: صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

الوزان، الحسن: وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

ولد حامد، المختار: حياة موريتانيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ.

يوسل، صالح: الإسلام والمسلمين في أمريكا قبل كولومبوس، مجلة ذي فونتن ماگازين، العدد 58، أبريل 2007م.

فهرس المواد

